الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
The people's democratic republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of higher education and scientific research
المركز الجامعي صالحي أحمد بالنعامة
(Naamauniversty centre –salhiahmed)

معهد الآداب واللّغات قسم اللّغة والأدب العربي

مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي بعنوان:

علاقة الصّوت بالدّلالة في العربيّة

"نماذج وموضوعات في القرآن الكريم"

ميدان اللّغة والأدب العربي شعبة الدّراسات اللّغوية تخصص لسانيات عربيّة

إشراف الأستاذ :
د. محمد الصّالح بوضياف

إعداد الطالبين:
- محمّد بو عسلة
- فاطمة الزّهراء بن عطة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة
د. الرافعي عبد الله	رئيسا
د. محمد الصّالح بوضياف	مشرفا ومقررا
د. بوعصابة عبد القادر	مناقشا

الموسم الجامعي 1443 - 1444هـ/2022 - 2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : فاطمة الزهراء بن عطية

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) : طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 200629656

الصادرة بتاريخ : 2016/10/26

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب و اللغات

قسم : اللغة و الأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : علاقة الصوت بالدلالة في العربية - نماذج وموضوعات في القرآن الكريم

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2023/06/20

توقيع المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : بوعسلة محمد

الصفة (طالب – أستاذ – باحث)

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 402486892

الصادرة بتاريخ : 2022/07/30

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : علاقة الصوت بالدلالة في العربية نماذج موضوعات في القرآن الكريم

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2023/06/06م

توقيع المعني

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من لا يشكر الناس لا يشكر الله»

الشكر لله وحده على ما أنعم به علينا من نعم لا تعد ولا تحصى

الشكر موصول إلى مشايخنا وأساتذتنا الأفاضل.

وإلى كل من علمنا علما انتفعنا به.

والشكر موصول أيضا إلى كل الأسرة التربوية بالمركز الجامعي

–صالحي احمد-بالنعامة إدارة وأساتذة وعمَّالا

والله ولي التوفيق

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح أبي الزكية الطاهرة

إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها وأمدها بوافر الصحة

إلى زوجتي وأبناء الأعزاء

إلى إخوتي وكل الأصدقاء، إلى كل من علمني حرفا وأرشدني ونصحني-

أهدي إليهم جميعا هذا العمل المتواضع.

محمد بوعسلة

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من وهباني الحياة وربياني صغيرا....

إلى والدي العزيز، ووالدتي العزيزة

إلى من كان دائما سندا لي زوجي الغالي

إلى من كانوا بالنسبة لي بمثابة العضد والسند حتى أستطيع إكمال هذا البحث: أخواتي وجميع أصدقائي

إلى أساتذتي الأفاضل الذين لم يبخلوا علي يوما في تقديم أي معلومة ....إلى كل من علمني حرفا.

إليكم جميعا أهدي لكم بحثي هذا راجية من الله أن يطيل أعماركم ويرزقكم الصحة والعافية.

فاطمة الزهراء بن عطة

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، وصلِّ اللّهم وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين:

إن اللغة العربية من أشرف اللغات وأعظمها؛ فهي لغة أهل الجنة، شرفها الله بالقرآن خير كتاب أنزل منذ أن خلق الله الإنسان على هذه الأرض، واللغة كما عرفها ابن جني (ت 392ه) عبارة عن "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"هذا ما يلخص لنا أحد الظواهر التي تتصل باللغة ألا وهو الجانب الصوتي، فاللغة ظاهرة صوتية ذات وظيفة اجتماعية لأنها أداة الاتصال بين الأفراد داخل المجتمع.

ولما كان القرآن الكريم من أهم مقومات هذا الدين وهو ذلك الكتاب المعجز الذي تحدى به الله العرب في لغتهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، كان لزاما علينا الحفاظ على أدائه وهذا بالقراءة الصحيحة على الوجه الصحيح الذي أنزل به من خلال الاهتمام بكل ما يتعلق بالصوت لهذا أولى العرب اهتمامهم بالدرس الصوتي، وانصبّت دراساتهم منذ القدم على الأصوات وما يتعلق بها.

ولما كانت الأصوات في القرآن الكريم وتركيب الألفاظ فيه على نحو صوتيّ معين من أهم السمات الظاهرة في الإعجاز القرآني أُحتيج بذلك لتكثيف الدراسات في هذا المجال. هذا ما وقع عليه اختيارنا في هذه الدراسة وجعلناه موضوعا للبحث إذ ربطنا البعد الصوتي بالبعد الدلالي وقد وسمناه: علاقة الصوت بالدلالة في العربية نماذج وموضوعات في القرآن الكريم.

فهل للصوت علاقة بالدلالة في العربية؟

وهل له علاقة بدلالة الألفاظ في الخطاب القرآني؟

ما المقصود بالدلالة الصوتية؟ وما مظاهرها في القرآن الكريم؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وضعنا خطة ممنهجة تشتمل على مقدمة وفصلين ثم خاتمة.

فالفصل الأول وسمناه "الدلالة الصوتية عند القدماء والمحدثين.

ضمّ ثلاثة مباحث كالآتي:

أولا: جهود علماء العربية في الدلالة.

ثانيا: الدلالة الصوتية عند علماء العربية.

ثالثا: الدلالة الصوتية عند المحدثين.

والفصل الثاني وسمناه "مظاهر الدلالة الصوتية في القرآن الكريم".

وضمّ هو الآخر ثلاثة مباحث كالآتي:

أولا: دلالة الصيغ الصرفية.

ثانيا: دلالة الألفاظ التي تختلف في صوت واحد.

ثالثا: دلالة الإيقاع.

من خلال بحثنا هذا حاولنا إبراز مخارج الأصوات وصفاتها وما تؤديه من دور في تشكيل الدلالة سواء كان ذلك في الحروف في حد ذاتها أم في اجتماعها في ألفاظ معينة، مبيّنين مظاهر الدلالة الصوتية كظاهرة من مظاهر الإعجاز القرآني. ذلك أن حاجتنا ملحة إلى معرفة تلك الخصائص الفنية والجمالية للخطاب القرآني الناتجة عن تآلف الأصوات وتركيبها وفق نسق ونظام معين، هذا كله من أجل الكشف عن تلك البلاغة وذلك الحسن والبيان، لذا كانت دراسة الأصوات وربطها بما توحيه ألفاظ القرآن الكريم هو ما يحقق لنا الأهداف المرجوّة من هذه الدراسة.

من خلال هذا كله نستطيع تلخيص الدوافع التي بموجبها قررنا البحث في مجال الأصوات وما توحيه من معان ودلالات خاصة في القرآن الكريم كالآتي:

- ✓ الرغبة في معرفة أسرار القرآن الكريم.
- ✓ حب الاستزادة في كل ما من شأنه إثراء الفهم في مجال الدراسات القرآنية.
- ✓ الميل إلى الدراسات اللغوية وخاصة ما يتعلق بعلم الأصوات، ومحاولة إبراز تلك السمة الخفية التي تتصف بها الأصوات التي تتألف منها الألفاظ القرآنية وما يربطها من معانٍ ودلالات.

- أما بخصوص المنهج المتبع فإن جَعْل موضوع الدلالة الصوتية محلا للدراسة يفرض علينا استعمال المنهج الوصفي، حيث سنقوم بوصف مخارج الأصوات وصفاتها في بعض ألفاظ القرآن الكريم المتعلقة بموضوع واحد، وسنصف ذلك التركيب الفني والنظم والتناسق المعجز لها، هذا وسنستعين بالتحليل الذي يمكّننا من كشف العلاقات بين هذه الأصوات وتركيبها وفق نظم معين مع المعنى الذي يؤديه اللفظ مفردا ومعناه الذي يحققه مجتمعا مع الألفاظ الأخرى في التركيب القرآني.

أما فيما يخص الدراسات السابقة فقد كانت متعددة كون موضوع الدلالة الصوتية في العربية مما تناوله الباحثون اللغويون قديما وحديثا لأسباب كثيرة ومتنوعة، فالصوت هو أولى المستويات اللسانية كما أسلفنا الذكر؛ إذ يرتبط بالمستويات الأخرى بما فيها المستوى الدلالي، فبحثنا هذا ينطلق أساسا بما جاء به اللغويون القدامى أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 173ه) الذي قدم وصفا شاملا للأصوات ومخارجها في مقدمته لكتاب "العين" وابن جني (ت 392ه) الذي تناول موضوع الدلالة الصوتية في مؤلفاته: (سر صناعة الإعراب) (والخصائص) إذ تناول الموضوع في أبواب عدة من كتاب الخصائص: باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) وباب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) وباب(الاشتقاق الكبير) .

- فمن الدراسات السابقة التي كانت لها صلة بموضوعنا هذا نذكر: الصوت والدلالة في القرآن الكريم، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الحضارة الإسلامية تخصص لغة ودراسات قرآنية من إعداد الطالب كاملي بشير من جامعة وهران وكذلك "فاعلية الصوت في إنشاء الدلالة في المفردة القرآنية" نماذج من القرآن الكريم، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص لسانيات عربية من إعداد الطالبتين "زياني بثينة" و "رحال شهرزاد" من جامعة العربي التبسي بتبسة.

لقد حاولنا في هذا البحث النظرفي بعض آيات القرآن الكريم متمعنين في ألفاظه ومعانيه واستعنّافي ذلك بمجموعة من الكتب التي تتنوع وتعدد بين معاجم اللغة وكتبها كعلم الأصوات وعلم الدلالة، والتفاسير وكتب العلوم القرآنية إذ كان القرآن الكريم هو مصدر هذا البحث ومرجعه الأساس.

فمن كتب التفسير التي اعتمدناها بصورة واسعة في هذا البحث:

"تفسير للطبري"، وتفسير "ظلال القرآن" "لسيد قطب"، ومن الكتب اللغوية ذات الصلة بالموضوع استعنّا بكتابَي "الأصوات اللغوية" و"دلالة الألفاظ" "لإبراهيم أنيس"، وكتاب "الصوت اللغوي في القرآن "لمحمد حسين علي الصغير وكتاب "الدلالة الصوتية في اللغة العربية "لصالح سليم عبد القادر الفاخري.

وأما كتب علوم القرآن فقد تعددت وتنوعت ونذكر منها "التصوير الفني" لسيد قطب و"إعجاز القرآن والبلاغة النبوية "للرافعي" وكتاب "مباحث في علوم القرآن" "لصبحي الصالح".

وكما لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات والعوائق التي تقف دائما حائلا أمام سير البحث على وتيرة حسنة، فإنمن الصعوبات التي واجهتنا نذكر:

-صعوبة التعامل مع النصوص القرآنية لأنه يستدعي الحذر والدقة لتفادي الوقوع في الخطأ ولو سهوا.

-كثرة المؤلفات التي تناولت موضوع الدلالة الصوتية خاصة في القرآن الكريم؛ الأمر الذي جعلنا نحتار في الاختيار، فكل كاتب تناول الموضوع حسب نظرته الشخصية إذ أخذنا وقتا طويلا في الاطلاع عليها واختيار الأنسب منها.

تعدد وتنوع الآراء في بعض جزئيات هذا البحث بتعدد المجالات والتخصصات من النقد إلى العروض والشعر، الأمر الذي جعلنا في حيرة من أمرنا أيها نختار ونعتمد عليه في هذا البحث.

❖ ختاما لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا الفاضل المشرف "محمد الصالح بوضياف" لتكرمه بالإشراف على هذا البحث كما نقدم شكرنا كذلك إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكلفوا عناء القراءة لأجل التقويم والتصويب.

حررّ بتاريخ: الاثنين1من ذي الحجة 1444هـ/ الموافق: 19جوان 2023م

بن عطة فاطمة الزهراء

بو عسلة محمد

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

الدلالة الصوتية عند القدماء والمحدثين

أولا: جهود علماء العربية في الدلالة.

ثانيا: الدلالة الصوتية عند علماء العربية.

ثالثا: الدلالة الصوتية عند المحدثين.

أوّلاً: جهود علماء العربية في الدلالة:

لقد كان لعلماء العربية القدامى جهود مختلفة في الدراسات الدلالية عبر القرون حيث لا يمكن إهمالها أو تجاهلها، حيث قدم علماء العربية القدامى عطاءات أسهمت بشكل بارز وواضح في بلورة العلوم الإنسانية في شتى مجالاتها في العصر الحديث، وقد اعتمدنا في سبيل إيضاح ذلك على بعض علماء العربية القدامى، وحددنا مجالات معرفية، كالأصول والبلاغة، والإعجاز، لنبرز أهم الجهود الدلالية التي قدمها علماء العربية القدامى لإثراء الدرس اللغوي والمعرفي.

1.الجهود الدلالية عند الشافعي (150هـ - 204هـ) من خلال كتابه الرسالة:

يعد الإمام الشافعي علم من أعلام الإسلام رزقه الله قوة في الفهم والفقه، وكان بارعا في العلوم الأخرى كعلم التفسير وعلم الحديث، كما تطرق الإمام الشافعي إلى الدلالة كونها مرتبطة باللغة العربية وما تتطلبه من إيضاح بعض ألفاظها خاصة عند استعمالها في الألفاظ الشرعية والقرآنية وما جاءت به السنة النبوية، يقول الشافعي: «ورسول الله عربيّ اللسان والدار، فقد يقول القول عاماً يريد به العام، وعاماً يريد به الخاص.»[1]

وأقدم ما وصلنا مكتوبا في علم أصول الفقه هو كتاب "الرسالة" للشافعي يجمع على ذلك العلماء المحدثون والأقدمون على السواء، وكان الكتاب محاولة لوضع قواعد لفهم النصوص القرآنية وتحديد الدلالة المقصودة وفق منهج أظهر ما فيه هو القياس الفقهي يقول الإمام ابن حنبل (214هـ – 285هـ): لم نكن نعرف العموم والخصوص حتى ورد الشافعي، كما يقول الجويني (شارح ممتاز من شراح الرسالة): أنه لم يسبق الشافعي أحد في تصنيف الأصول ومعرفتها، كما يقول بن رشد: النظر في القياس الفقهي وأنواعه هو شيء استنبط بعد الصدر الأول[2].

[1] محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دط، دت، ص 213.

[2] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001،ص112 .

تلك المصطلحات التي أعطاها الشافعي أبعاده الدلالية، وأضحت معروفة الحدود في علم أصول الفقه إلى يومنا هذا، لا يمكن أن نعطيها قدرها من الإبداع العلمي، إلّا إذا أخذناها في عصرنا الأول الذي ظهرت فيه، ذلك أن ليس من اليسير أن يتوصل عالم إلى حصر أدوات علمه النظرية في بداية تشكل بنية العقل العربي وخاصة وأن فقه القرآن وتأويل معانيه الراجحة كانت آنذاك تعتمد على النقل والأثر لقرب عهدها بعصر الرسول عليه الصلاة والسلام.[1]

يقول منقور عبد الجليل في كتابه علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي : " فمن المحققين من رد تلك القواعد الفقهية التي استنبطها الشافعي إلى تلك الإرهاصات الأولية التي تمظهرت في تعامل جمهور الصحابة، العلماء مع المسائل المستجدة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . يقول ابن خلدون : ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة، فإذا هم يقايسون الأشباه منها بالأشباه، ويناظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم[...] فإن كثير من الواقعات بعده . صلوات الله عليه وسلامه . لن تندرج في النصوص الثابتة فقيسوه بما ثبت، وألحقوها بما نص عليه، بشروط في ذلك الإلحاق، تصحح تلك المساواة بين الشبهين أو بين المثلين [...] واتفق الجمهور العلماء على أن هذه هي أصول الأدلة".[2]

لقد كان الإمام الشافعي بارعا في اللغة العربية ومعانيها، ودلالة ألفاظها، وهو ما مكن ويسر له في التأليف والكتابة، مبرزا بلاغة اللغة العربية ودلالتها؛ يقول الشافعي موضحا وكاشفا أسرار بلاغة الحديث الشريف:« ويسن بلفظ مخرجه عام جملة بتحريم شيء أو بتحليله، ويسن: في غيره خلاف الجملة فيستدل على أنه لم يرد بما حرم ما أحل ولا بما أحل ما حرَّم.»[3]

[1] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 112.

[2] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 113.

[3] الشافعي، الرسالة، ص 214.

إن فهم الإمام الشافعي للغرض من الكلام في الحديث ومدلولات ألفاظه لا يكون إلا من شخص قد تشبع لغويا، وتمكن من فهم لغة العرب وسنن أقوالها ودلالة استعمالها.

يقول الشافعي إشارته إلى معنى اللفظ السياقي عند العرب في كلامها: « وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله.»[1]

وتأكيدا «لذلك يضع الشافعي عنوانا لباب سماه: الصنف الذي يبين سياقه معناه.»[2]

ومن تمام المعرفة التي ينص عليها الشافعي، هو العلم بمعاني اللغة واتساع لسانها وهي الإشارة إلى وجود المجاز عند أهل العربية القدامى من طرق توسيع المعنى إن هذا التعيين الدقيق لمنافذ المعرفة وهذا التقسيم الواضح لأصناف اللفظ والدلالة يؤكد أن الشافعي في الصدر الأول كان ذا وعي لغوي كبير بمستويات الكلام، وهو ما جعله حقيقة في طليعة العلماء الذين وضعوا منهجا "بيّنا" في استنباط الأحكام وحصر الدلالات المختلفة، بالنظر الدقيق لظاهر الخطاب اللغوي وباطنه، ونستشف عمق التقسيم لمستويات الكلام عنده[3]، إذا يقول: «باب بيان ما أنزل من الكتاب عاما يراد به العام ويدخله الخصوص، باب ما أنزل من الكتاب عام الظاهر يراد به كله الخاص، باب ما أنزل من الكتاب عام الظاهر وهو يجمع العام والخصوص.»[4]، وغيرها من الأبواب، يقول الشافعي مبينا موقف المسلمين الفقهاء من الحديث النبوي الذي التبست دلالاته فلم يعرف أظاهر عام هو أم باطن خاص[5]"...«وهكذا غيرهذا من حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . هو على الظاهر من العام حتى تأتي الدلالة عنه كما وصفت [بطرق تحديد الدلالة لفظيا] أو بإجماع

[1]الشافعي، الرسالة، ص 52.

[2]الشافعي، الرسالة، ص 62.

[3]منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثهفي التراث العربي ، ص 115.

[4]محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، ص 56.

[5]منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثهفي التراث العربي ، ص 117.

المسلمين: أنه على باطن دون ظاهر وخاص دون عام، فيجعلونه بما جاءت عليه الدلالة ويطيعونه في الأمرين جميعا.»[1]

كما كان للشافعي رؤية دلائلية للعلامة غير اللغوية إذ في معرض تفسيره للفظ "العلامات" الوارد في القرءان الكريم، استند في تحديد مدلولها على العقل ويقول الله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[2] قال الشافعي: فخلق الله لهم (أي للمسلمين)، علامات ونصب لهم المسجد الحرام وأمرهم أن يتوجهوا إليه. إنما توجههم إليه بالعلامات التي خلق لهم، والعقول التي ركبها فيهم التي استدلوا بها على معرفة العلامات، وأثار الشافعي مسألة الترادف في اللغة وقد أثبته في معرض بحثه عن دلالة لفظ " شطر" الوارد ذكره في قوله تعالى مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام . ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3] لقد أحصى الشافعي ألفاظا تناظر لفظ "شطر" في الدلالة منها: وجهه . قصد . تلقاء . ثم قال «وكلها بمعنى واحد وإن كانت بألفاظ مختلفة.»[4]

كما أثار الشافعي مسألة المشترك اللفظي في لسان العرب ففي تفسيره لقوله تعالى في حق نبيه الكريم: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ﴾[5] حيث يقول: مثل ما وصفت: من اتساع لسان العرب وأن الكلمة الواحدة تجمع معان مختلفة[6] «وبذلك عد الشافعي بما خطه من القواعد، ووضعه من السنن، مصدر إلهام للجميع خاصة علماء الأصول، بحيث اتّخذت رسالته

[1] محمد إدريس الشافعي، الرسالة، ص 322.

[2] سورة النحل، الآية 16.

[3] سورة البقرة، الآية 149.

[4] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 117.

[5] سورة الأحزاب، الآية 06

[6] منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثهفي التراث العربي ، ص 118.

كأساس لأي استنباط دلالي من القرءان الكريم، والحديث الشريف وعدت أبوابها معروفة عند العلماء الذين عكفوا عليها شرحا "وتمحيصا".»[1]

2. الجهود الدلالية عند الجاحظ 0160هـ، 255هـ) من خلال كتابه " البيان والتبيين ":

يعد الجاحظ من بين أبرز العلماء الذين ألفوا في البيان، والكشف عن أسرار اللغة العربية وأصواتها ودلالات معانيها، وهو ما نحاول الكشف عنه من خلال كتابه "البيان والتبيين"؛ متطرقين في ذلك إلى المباحث التي تناولها فيه ولها علاقة بموضوع الدلالة نذكر منهاما يلي:

أ. حسن التأليف بين الحروف والألفاظ:

يقول الجاحظ وهو يعرض صفات الحروف التي تتوافق لتشكل لفظا صحيحا والحروف المتنافرة التي تجتمع ليس في لسان العرب فحسب، بل وفي ألسنة العجم من الفرس والأجناس غير العربية[2]: «فأما في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا الطاء ولا الغين، بتقديم ولا بتأخير»[3]، إن الجاحظ بهذا التحليل لطبيعة الحروف يحاول وضع أسس للصوت بحسب قوته من الجهر أو الهمس، فالحروف التي تختلف في السمات الصوتية تكون أقرب إلى المجاورة من الحروف التي تتفق في ذلك، فاللفظ الذي تتوفر فيه سمات النطق الصحيح هو المؤلف من حروف متباعدة المخارج مختلفة السمات الصوتية.[4]

والبيان . عند الجاحظ . يقتضي عدم التنافر بين التنافر بين مجموع الألفاظ التي تؤلف الجملة حتى أنه ينقل قول الشاعر:

وقبر حرب. مكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

ولصعوبة إنشاده ثلاث مرات متتالية ظن البعض من اللغويين أنه من أشعار الجن، وذلك لما بين كلماته من تنافر يعسر نطقها مجتمعة في سياق واحد.[5]

---

[1] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 118.

[2] منقور عبد الجليل ، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، ص 120.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، تح: عبد السلام هارون، ج1، القاهرة، 1998، ص69.

[4] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 120.

[5] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 121.

والبلاغة عند الجاحظ ليس إلاّ أن تؤلف في نسق صحيح بين كلمات أو بين حروف اللفظ، ثم تراعي حسن موقع المعنى من ذلك لتقذفه إلى سمع المتكلم فإذا هو يعيه ويستوعبه[1]، يقول الجاحظ: «لا يكون الكلام يستحق البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.»[2]

يقول الجاحظ: «وإنما الألفاظ على أقدار المعاني فكثيرها لكثيرها وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها، والمعاني المصغرة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة.»[3]

فعلى قدر المعاني تأتي الألفاظ فقد تكفي الإشارة الحقيقية للمعنى البعيد عن اللبس وقد تغيب عن المعنى المراد[4]. وإن إدراك الجاحظ إلى أن اللفظ هو عبارة عن مقاطع صوتية تنتج عنها حروف أصوات، وهذا ما أشار إليه "أندري مارتنيه" في قوله بالتلفظ المزدوج double articulation [5]، يقول الجاحظ: «الصوت وهو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف... ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف.»[6]

ب . أصناف العلامة عند الجاحظ:

لقد اعتبر الجاحظ أن للعلامة خمسة أصناف هي: اللفظ والإشارة والعقد، والخط والحال أو النصبة. يقول الجاحظ موضحا أدوات البيان الخمس: «وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة [...] ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة

[1] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 121.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ص 115.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ص 77

[4] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 121.

[5] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 121.

[6] الجاحظ، البيان والتبيين، ص 79.

من صورة صاحبتها وحيلة مخالفة لحيلة أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير...»[1]

كما تطرق الجاحظ إلى حق المعاني والألفاظ ويرى أن حكم المعاني هي خلاف وحكم الألفاظ، يقول الجاحظ: «ثم إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير نهاية وممتدة إلى غير نهاية وأسماء المعاني المقصورة معدودة ومحصلة محدودة.»[2]

أما الإشارة فهي علامة غير لغوية يعبر بها الإنسان عن مراده وقد تكون بأعضاء الإنسان كاليد والرأس أو بأشياء أخرى كالسيف أو السوط، يقول الجاحظ: «فأما الإشارة فاليد وبالرأس وبالعين والحاجب، والمنكب إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف أو السوط فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا.»[3]

أما علاقة بين الإشارة واللفظ فهي تؤدي نفس مدلول اللفظ وقد تكفي الإشارة عن اللفظ، يقول الجاحظ: «وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان» [4]

في حديثه عن دلالة العقد يقول الجاحظ «.... والحساب يشمل على معان كثيرة، ومنافع جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله . عز وجل . معنى الحساب في الآخرة وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع واختلال كل ما جعله الله . عز وجل لنا قواما ومصلحة ونظاما.»[5]

أما الدلالة بالنصبة أو الحال، فهي في حقيقتها امتداد للدلالة بالإشارة لأنها دلالة كل صامت أو مكان في حكمه، من جماد أو إنسان أو حيوان[6]، يقول الجاحظ: «وأما النصبة فهي الحالة الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض،

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ص 76.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ص 76.

[3] نفسه، ص 77

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ص 79.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين، ص 80.

[6] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 123.

وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام ومقيم، وظاعن وزائد وناقص. فالدلالة التي في الموت الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان.»[1]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الجاحظ كان له الفضل الكبير في إبراز معاني البيان والبلاغة؛ وما يتعلق بحسن الإبلاغ والدلالة بين المتكلمين من مستمع ومتلقي.

ت. وظائف الكلام عند الجاحظ:

وظائف الكلام عند الجاحظ أشار إليها في معرض حديثه عن البيان يقول: «لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه المعاون له على أمور وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها.»[2] ... وذلك أن المعاني كامنة مستترة لا يمكن أن يعلمها (الآخر) إلا إذا تمظهرت في أنماط مقولية، بها يطلع على ما في ضمير مخاطبه، ولا ينعقد الاتصال الإعلامي بينهما حتى يفصح أحدهما عما في نفسه، من الحاجات للآخر، فكأن تلك المعاني كانت ميتة فأحييت بالذكر والأخبار والاستعمال، وهذا ما يكاد (جاكبسون) يعنيه من الوظيفتين المرجعية، والوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، إذا الأولى تعني التخاطب يهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين، وتبادل الآراء معهم أما الثانية فهي تتمحور حول إبراز موقف المتكلم خاصة . من مختلف القضايا موضوع حديثه.[3]

ث. الدلالة السياقية عند الجاحظ:

إن مفهوم الجاحظ للمعنى ينبني على رصد موقعه من جملة المعاني ومقابلته باللفظ فيحدد المعنى بأنه مدلول الكلمة من الأشياء والأفكار والمشاعر[4] كما أن طبيعة المعنى تخالف طبيعة اللفظ، فالمعنى مستتر خفي واللفظ هو المستخدم لبيانه وظهوره، وعلى ذلك

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ص 81.

[2] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 125.

[3] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 125.

[4] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 126.

فالمعاني محلها النفس وصورتها في الذهن، كما أن الفكر هو الذي يشكلها ويحدثها. يقول الجاحظ: قال بعض وجهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم. هذه هي مواصفات المعنى عند الجاحظ، يضاف إليها لا محدوديتها ولا نهائيتها مقابل لمحدودية الألفاظ ونهائيتها[1]، يقول الجاحظ في ذلك: « ثم إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعنى مقصورة معدودة ومحصلة محدودة.»[2]

3. الجهود الدلالية عند ابن جني (320هـ، 392هـ) من خلال كتابه الخصائص:

إن المباحث التي تناولها الجاحظ وما قدمه من خلال كتابه البيان والتبيين، وما تعلق بالمسائل الدلالية، لا يمكننا حصرها وتناولها في هذا المجال الضيق؛ بل قد تحتاج منا إلى دراسة مستقلة؛ وبحسب الجاحظ أنه قدم للدرس العربي اللساني والدلالي ما يثريه في التراث اللغوي العربي يعد مرجع للدارسين من بعده.

لقد قدم ابن جني من خلال كتابه "الخصائص" للدرس اللغوي العربي إفادة جديدة لم تكن عند من سبقه من العلماء؛ وذلك من خلال المباحث التي تطرق إليها في كتابه، وفيما يلي نحاول عرض بعض المسائل التي جاء بها في كتابه؛ مبرزين في ذلك جهوده في الدلالة.

أ. اللفظ والمعنى:

تناول ابن جني في كتابه الخصائص عرض ثلاث علائق متصلة هي: العلاقة بين اللفظ والمعنى، والعلاقة بين اللفظ واللفظ، ثم العلاقة بين الحروف ببعضها وقد أفرد بابا سماه "باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني" حيث عرض فيه لاشتراك الأسماء في المعنى الواحد، ورده لوجود تقارب دلالي بين تلك الأسماء[3]، يقول في مستهل هذا الباب: «هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي إلى المعنى

[1] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 127.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ص 76.

[3] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 129.

إلى معنى صاحبه.»[1] ، وفي ذلك إشارة إلى وقوع الترادف في اللغة الذي كان ينكره بعض علماء اللغة في عصره، ومنهم أستاذ أبو علي الفارسي، وما اشتهر به ابن جني هو إبراز لظاهرة لغوية تتمثل في تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ[2] وهو ما سماه "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"[3] سجل فيه أن مخارج حروف اللفظ التي تقترب من مخارج حروف لفظ آخر، هما متقاربان دلاليا لتقاربهما فنولوجيا وتلك خاصية من خصائص اللغة العربية وهذه الملاحظة تنم عن دقة وعمق رؤية ابن جني لنظام اللغة[4] ففي شرحه للفظ " أزًّا" الوارد في قوله تعالى ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤُزُّهم أزًّا﴾[5]

يقول ابن جني في قوله تعالى "تؤزّهم أزًّا"، أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هذا «والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز مالا بال له، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك.»[6]

ب . الحقيقة والمجاز:

يعرف ابن جني الحقيقة والمجاز فيقول: «الحقيقة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز ما كان ضد ذلك»[7] ثم يحدد دواعي التجاوز فيقول: «وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة.»[8] .

[1]أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، دار الكتب المصرية، 1913،ج2، تح: محمد علي النجار، ص113.

[2] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 129.

[3]أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ص 145.

[4]منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 129.

[5]سورة مريم، الآية 83.

[6]أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ص 146.

[7]أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ص 442.

[8]أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ص 442

أما في الباب الثاني فبعد طول معاينة للغة؛ يرى ابن جني أن أكثر كلام العرب إنما هو مجاز؛ وذلك ناتج عن كثرة دوران اللفظ على الألسنة بدلالته المجازية اكتسب سمة الدلالة الحقيقية، وأن تلك التراكيب اللغوية التي تخالها ذات دلالة حقيقية هي في الأصل ذات دلالة مجازية محققة لتلك المعاني الثلاثة التي ذكرنا، ويسوق ابن جني في سبيل ذلك أمثلة كثيرة[1]، يقول: «اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة، وذلك عامَّه الأفعال، نحو قام زيد، وقعد عمرو [...] وجاء الصيف، وانهزم الشتاء...»[2]

ت . نشأة اللغة:

يقول ابن جني في باب القول على أصل اللغة أنها إلهام أم اصطلاح: «هذا موضع محوج إلى فصل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي ولا توقيف. إلاّ أن أبا علي رحمه قال لي يوما هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[3] وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله، أقدر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة»[4].

ولكن ابن جني ما يلبث أن يقوي في نفسه شعور يجذبه إلى الاعتقاد بكون اللغة توقيفا من عند الله تعالى، وذلك ظاهر من تناسق أجزائها وموفقتها لكل حال ومقامثم ما اجتمع لديه من أقوال العلماء من أساتذته من أن اللغة وحي وإلهام من عند الله كل ذلك دفع ابن جني إلى ترجيح المذهب القائل بتوقيفية اللغة.[5]

وخلاصة موقفه أنه وقف موقفا وسطا فقال بالإلهام والإصلاح معا ويوضح ذلك بما ذهب إليه حيث افترض أن يكون الله خلق قبلنا أقواما كانت لهم القدرة التي مكنتهم على الاصطلاح والتواضع في تسمية الأشياء، يقول أبو الفتح موضحا موقفه ومعبّرا في ذات

---

[1]منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 135-136.

[2]أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ص 448.

[3]سورة البقرة الآية 31.

[4]أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ص 39.

[5]منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 137.

الوقت عن حيرته بين القول بعرفية اللغة أو القول بالإلهام[1]: «فأقف بين هاتين الخلتين (الإلهام والعرف) حسيرا،وأكاثرها فأنفكئمكثورا وإن خطر خاطر فيما بعد، يعلق الكف بإحدى الجهتين ويكفها عن صاحبتها قلنا به.»[2]

ثانيا: الدلالة الصوتية عند علماء العربية:

لقد كان للدلالة الصوتية حيزا هاما في الدراسة عند علماء العربية باختلاف مجالات تخصصاتهم، وهو ما جعلهم يختلفون في تعريفاتهم للدلالة تبعا لذلك، وسنعرض في هذا العنوان لتعريفات الدلالة عند كل من "أبي نصر الفرابي (ت 399ه)" والإمام "أبي حامد الغزالي (ت 505ه)" و"عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808ه)" و"الشريف الجرجاني (ت 816ه)" و"ابن فارس (ت395ه)" مبرزين ماهية الدلالة عند كل واحد منهم.

1. تعريف الدلالة عند الفرابي (ت 339ه):

إن اهتمام الفرابي بعلوم العربية يبرز من خلال مؤلفاته في المنطق والفلسفة ومن جملة ما ذكره الفرابي حول الدلالة ما يلي:

أ. أقسام الألفاظ باعتبار دلالتها:

تطرق الفرابي في كتابه احصاء العلوم في الفصل الأول تحت عنوان في علم اللسان فيقول:" علم اللسان في الجملة ضربان: أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما وعلم ما يدل عليه شيء منها، والثاني علم قوانين تلك الألفاظ".[3]

ودراسة الفرابي للألفاظ لا يمكن تصورها بمعزل عن الدلالة، فلا وجود لألفاظ فارغة الدلالة في علم المنطق والفلسفة، إنما الألفاظ دلالاتها وجهان لعملة واحدة مما يسمح ذلك في القرون المتأخرة إلى إبراز جملة من العلاقات الدلالية الناتجة عن اتحاد الدال والمدلول هو ما ظهر جليا في العصر الحديث في مباحث ديسوسير، إن المستوى الذي تتم

[1]منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 137.

[2]أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ص 47.

[3]الفرابي، إحصاء العلوم، مكتبة الأنجلو مصرية، 1968، تح: عثمان أمين، ط3، ص 57.

فيه الدراسة الدلالية عند الفرابي هو مستوى الصيغة الإفرادية ويطلق عليه في الدرس الألسني الحديث بالدراسة المعجمية التي تتناول الألفاظ بمعزل عن سياقها اللغوي.[1]

« يقول الفرابي مشيرا إلى هذه الدراسة الألفاظ الدالة منها مفردة تدل على معان مفردة ومنها مركبة تدل على معان مفردة ... والألفاظ الدالة على المعاني المفردة ثلاثة أجناس: اسم وكلمة [فعل] وأداة [حرف] وهذه الأجناس الثلاثة تشترك في أن كل واحد منها دال على معنى مفرد»[2]. فأقسام الألفاظ باعتبار دلالتها تنتظم في قسمين، ألفاظ مفردة ذات دلالة مفردة ومعيار اللفظ المفرد هو ما يدل جزؤه على جزء معناه فدلالته قابلة للتجزئة، أما قسم الألفاظ المركبة ذات الدلالة المفردة فهي غير قابلة لأن تتجزأ دلالتها يقول الفرابي: إن الألفاظ الدالة في لسان كل أمة ضربان، مفرد ومركب فالمفرد كالبياض والسواد والمركب كقولنا لإنسان حيوان.[3]

ب. ما يقوم به مقام اللفظ المفرد من الأدوات الدالة:

لقد قسم الفرابي الألفاظ الدالة إلى أقسام: الاسم والفعل والأداة وإذا كانت دلالة الاسم والفعل واضحة، فإن دلالة الأداة قد يكتنفها غموض، يقول الفرابي عن استخدامات الحرف "ما": يستعمل [ما] في السؤال عن شيء ما مفرد، وقد يقرن باللفظ المفرد للدلالة عليه أولا وهو الشيء الذي جعل ذلك اللفظ دالا عليه.[4]

فالحروف ليس لها دلالة في ذاتها إنما قيمتها الدلالية فيما تشير إليه، واللفظ لا يدل على ذاته إنما يدل على المحتوى الفكري الذي في الذهن وفي هذا الإطار يشرح الفرابي استعمالات لفظ "موجود" فيقول : الموجود لفظ مشترك يقال على جميع المقولات والأفضل أن يقال إنه اسم لجنس من الأجناس العالية على أنه ليست له دلالة في ذاته.[5]

---

[1] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 29.

[2] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 29.

[3] الفرابي، إحصاء العلوم، ص 58.

[4] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 30.

[5] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العري، ص 30

2. تعريف الدلالة عند الغزالي (ت 505ه):

إن التفسير الدلالي الذي توصل إليه الغزالي يدل على أنه قد تجاوز البحث ماهية الدلالة إلى البحث عن جوهر الدلالة وفروعها، فقد ذكر أصنافا لمعان قد حددها علماء الدلالة المحدثون، كالمعنى الإرشادي أو الإيمائي، والمعنى الاتساعي والمعنى السياقي، وإن كان الغزالي يسميها بمصطلحات أصولية وهي: دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء. وفحوى الخطاب. وكل دلالة عند الغزالي قد تنقسم إلى دلالات فرعية[1].

يعرف الغزالي الاقتضاء بقوله : « ما يسمى اقتضاء هو الذي لا يدل عليه اللفظ ولا يكون منطوقا به ولكن يكون من ضرورة اللفظ، أما من حيث لا يمكن كون المتكلم صادقا إلا به، أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعا إلا به أو من حيث يمتنع ثبوته عقلا إلا به»[2].

ودلالة الإشارة عنده يعرفها بقوله: «وهي [أي دلالة الإشارة] ما يؤخذ من إشارة اللفظ لا من اللفظ ونعني به ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه، فكما أن المتكلم قد يفهم بإشارته وحركته في أثناء كلامه ما لا يدل عليه نفس اللفظ فيسمى إشارة فكذلك قد يتبع اللفظ ما لم يقصد به [...] وهذا ما قد يسمى إيماء وإشارة. »[3]

أما النظام السياقي الذي يشرف على تجميل الصيغة ودلالات إضافية يقدمه الغزالي بقوله[4]: إنه فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده.[5]

كما بحث الغزالي قسم الألفاظ من حيث إفرادها وتركيبها وأحصى في ذلك ثلاثة أقسام: ألفاظ مفردة وألفاظ مركبة ناقصة. وألفاظ مركبة تامة ... يقول الغزالي: المفرد وهو الذي لا يراد بالجزء منه دلالة على شيء أصلا حين جزؤه كقولك عيسى وإنسان، فإن جزئي عيسى وهما " عي وسا" وجزئي إنسان وهما " إن وسان" ما يراد بشيء منهما الدلالة على شيء أصلا.

---

[1]منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص31.

[2]أبو الحامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ص 186.

[3]أبو الحامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، ص 190.

[4] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص32.

[5]أبو الحامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، ص 190.

أما المركب فهو الذي كل جزء فيه على معنى، والمجموع يدل دلالة تامة بحيث يصبح السكوت عليه من ذلك قولهم: زيد يمشي والناطق حيوان أما قولهم: في الدار أو الإنسان في، مركب ناقص لأنه مركب من اسم وأداة ... والملاحظ في تقسيمات الغزالي للألفاظ أنه قسمها باعتبار الكلي والجزئي وعموم المعنى وخصوصه، كما أقام تقسيمات للألفاظ باعتبار نسبتها إلى المعاني وحدد أربعة أصناف يقول: اعلم أن الألفاظ من المعاني على أربعة منازل: المشتركة والمتواطئة والمترادفة والمتزالية، ويشرح الغزالي مراتب العلاقة بين الصور المحفوظة في الذاكرة المدلولات المادية والمجردة والألفاظ والكتابة فيقول: اعلم أن المراتب فيما نقصده أربع واللفظ في الرتبة الثالثة، فإن للشيء وجودا في الأعيان ثم الأذهان ثم في الألفاظ ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال. الموجود في الأعيان.[1]

وبحسب تقسيمات الغزالي . فالكتابة . دال فقط باعتبارها واسطة تمثل الملفوظ فهي إسارة لإشارة، اللفظ دال باعتبار ومدلول باعتبار آخر.

. المعنى الذي في النفس (الصور الذهنية) مدلول فقط وليست دال.

. الموجود في الأعيان (الأمور الخارجية) مدلول فقط وليست بدال.

وعليه بحسب ركني العملية الدلالية (الدال والمدلول) تكون الكتابة، الألفاظ، دال الصور الذهنية والأمور الخارجية مدلول.[2]

إن ما قدمه الغزالي في مجال التأسيس النظري للدلالة يبرز ما مدى ثراء تراثنا المعرفي الذي اتخذ من النص القرآني كمعطى مثالي من أجل وضع أسس لنظرية معرفية شاملة خاصة إذا علمنا أن العلماء القدامى. قد امتلكوا الأدوات المختلفة اللغوية والمنطقية والفلسفية من أجل إبراز كل الجوانب العامة في النص المقدس[3].

[1] ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 32-33.

[2] ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 34.

[3] ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 34

3. تعريف الدلالة عند ابن خلدون (ت 808هـ):

يقول منقور عبد الجليل في كتابه علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي : " من خلال "مقدمة" ابن خلدون نجد دراسات في الدلالة تتجاوز الماهية إلى البحث عن جوهر الدلالة وطرق تأديتها يقول موضحا "ذلك": «واعلم بأن الخط بيان عن القول والكلام كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني، فلا بد لكل منهما أن يكون واضح الدلالة ... يوضح ابن خلدون العلاقة القائمة بين المعاني المحفوظة في النفس، والكتابة والألفاظ ويحصرها في ثلاثة أصناف:

- الكتابة الدالة على اللفظ
- اللفظ الدال على المعاني التي في النفس والضمير.
- المعاني الدالة على الأمور الخارجية.

ويعطي ابن خلدون للخط والكتابة أبعادا مهمة في العملية التواصلية يقول معرفا "الخط" وأداءه للدلالة: الخط وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية ... ويوضح ابن خلدون هذه المسألة التي تخص أصناف الدوال فيقول: إن في الكتابة انتقالا من [صور] الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس فهو ينتقل أبدا من دليل إلى دليل ما دام ملتبسا بالكتابة وتعود النفس ذلك فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات. فصور الحروف الخطية . عند ابن خلدون . هي التي تمثل التلفظ الثاني وهو تقسيم الكلمة (المورفيم) إلى وحدات صوتية (فونيم) لا تحمل بذاتها أي دلالة، فضلا على ذلك يرسم ابن خلدون العملية التواصلية أو الإبلاغية رسما بينا فالخط يدل على الكلمات اللفظية التي في الخيال والكلمات هذه تدل على المعاني التي في النفس، والكلمات اللفظية التي في الخيال هو اختصار للعلاقة القائمة بين اللفظ ومعناه، فاللفظ يرتسم في الخيال كصورة صوتية ذات دلالة، فترتسم في النفس مقاصد هذه الدلالة وعلى هذا الأساس يمكن تمثيل ذلك على النحو التالي:

. اللفظ ⟵ قيمة صوتية ⟵ تصور في الخيال ⟵ المعاني الموضوع الخارجي، ثم يحصل للنفس ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات، فتربط بوجاهة بين الدال والمدلول فإذا كان المدلول شيئا ماديا يكون الانتقال من اللفظ المسموع إلى الموضوع الخارجي وإذا كان المدلول من المجردات يكون الانتقال حينئذ من اللفظ إلى المعاني الذهنية".[1]

4. تعريف الدلالة عند الشريف الجرجاني (ت 816هـ):

يعرف الجرجاني الدلالة بقوله: «الدلالة هي كون الشيء بحالة تلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص.» [2]

ويحصي الجرجاني ثلاثة مستويات صورية تنتج عنها ثلاث دلالات، دلالة العبارة ودلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء.[3]

إن الجرجاني بتعريفه للدلالة يتجاوز التعريف إلى الإشارة إلى علم آخر أعم من الدلالة وهو ما يعرف بعلم الرموز أو السِماء simiologie وذلك عند نص على أن الدلالة هي هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر فذكره "الشيء" بدل " اللفظ" يدل على إشارته إلى هذا العلم الذي يعني بالرموز والعلامات اللغوية وغير اللغوية.[4]

لقد أدرك الجرجاني العلاقة بين طرفي العملية الدلالية، الدال والمدلول، وحدد طبيعتها في وجود صلة مباشرة بين الدال والمحتوى الفكري الذي يتحدد وفقه المرجع أو الموضوع، وإن كان لا يحدد تحديدا بيّنا طبيعة المدلول إلا أن تجريد عملية الإحالة المرجعية يقتضي بداهة التمييز بين المحتوى الذهني للعلامة وموضوعها الخارجي. والمهم في تعريف الجرجاني

[1] ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 36/35.

[2] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 36.

[3] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 38

[4] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 39.

أن الدلالة تتمثل في وجهة صرف الدال إلى مدلوله ولا يمكن أن يغفل الجرجاني عن ذلك المقام الذي ارتقى إليه التفكير الدلالي في عصره.[1]

هذه مفاهيم الدلالة لم توجد مبوبة مفصلة كما هي عليه في الدراسات الحديثة إنما كانت أساس الدراسات اللغوية في التراث المعرفي؛ وخصت جميع العلوم، بحيث وجدت في ثنايا كتب اللغة والمنطق والفقه وما إلى ذلك وهي تبرز من جهة أخرى حضور الدرس الدلالي بأبوابه الرئيسية في شتى معارف تراثنا.[2]

كما أن ظهور التحليلات العميقة في عدة مستويات من الدلالة عند العلماء العرب المتقدمين، واتساع اهتماماتهم في كل العلوم، ساعدهم على تأسيس نظرة دلالية ازدادت قيمتها مع مرور الزمن، وتبلورت لدى المتأخرين من علماء القرن التاسع الهجري وما بعده فقد ألفينا الجاحظ يصنف العلامات الدالة ويعطيها التمثيلات الإجرائية في واقع المجتمع العربي[3].

5. تعريف الدلالة الصوتية عن ابن فارس (ت 395ه) : من خلال كتاب الصاحبي في فقه اللغة:

حيث يتحدث أحمد ابن فارس (ت 395ه) عن بعض مظاهر الدلالة الصوتية، وذلك في كتابه " الصاحبي"؛ حيث رأى أن بعض الصيغ الصرفية يدل على معنى من ذلك «فُعلان يقول ابن فارس: يقولون: ما كان على (فعلان) دلَّ على الحركة والاضطراب نحو "النّزوان، الغليان" و(فعلان) يجيء في صفات تقع من جوع وعطشى نحو: "عطشان وغرثان أو ما يضاد ذلك محو: "ريَّان، وسكران"»[4]

كما يذكر الإبدال اللغوي ويؤكد أنه قاعدة مطردة عند العرب فيقول: ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون "مدحه، ومدهه، و"فرس رفل، ورفن"

---

[1]منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 40.

[2]منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 40

[3]منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 40

[4]أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة المعرفة،بيروت، 1993، ط1، ص 227.

وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء.[1] كما يذكر في باب البناء الدال على الكثرة فيقول: البناء الدال على الكثرة، كما يذكر "فعول. وفعّال" نحو "ضروب، وضرَّاب" وكذلك "مفعال" إذا كان عادة نحو: مِعطار" و"امرأة مِذْكار" إذا كانت تلد الذكور.[2]

ويرى ابن فارس أن من سنن العرب التكرير والإعادة وإرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر فيقول: «(الحارث بن عباد)

قرَّبا مربط النعامة منّي لَفِحَتْ حرب وائل عن حيال.

فكرر قول: "قَرِبا مربِط النعامة مني" في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر وأراد الإبلاغ في التنبيه والتحذير.»[3]

ثالثا: الدلالة الصوتية عند المحدثين:

الدلالة الصوتية يعرفها البعض بأنها: «هي التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات»[4] فكلمة "تنضح" كما يحدثنا كثير من اللغوين القدماء تعبر عن فوران السائل في قوة وعنف. وهي إذا قورنت بنظيرها "تنضح" التي تدل على تسرب السائل في تؤدة وبطء، يتبين لنا أن صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها، فقد أكسبها في رأى أولئك اللغوين تلك القوة وذلك العنف.[5] وعلى هذا فالسامع يتصور بعد سماعه كلمة " تنضح" عينا يفور منها النفط فورانا قويا عنيفا ، والفضل في مثل هذا الفهم يرجع إلى إيثار صوت على آخر، أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق به،[6] فيما يلي عرض لبعض آراء المحدثين من علماء العرب والغرب حول الدلالة الصوتية.

---

[1]أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 209.

[2]أحمد ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص 227.

[3]أحمد ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص 213.

[4]إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو، 1986 ط3، ص 46.

[5]إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 46.

[6]إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 46.

ناقش اللغويون المحدثون من عرب وغيرهم هذا الجانب من الدلالة الصوتية فكانوا فيه كالقدامى بين مؤيد ورافض، ويأتي فارس الشدياق (ت 1888) في مقدمة الفريق الأول الذي ألف عدة كتب كان جل اهتمامه فيها منصبا عل العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها، وما يتعلق بذلك من إبدال وقلب إلى غير ذلك من القضايا الدلالية، وأبرز هذه الكتب كتابه " سر الليالي في القلب والإبدال" الذي كما هو واضح من عنوانه مخصص لمسائل القلب والإبدال، غير أن هذا لم يمنعه من الحديث عن مناسبة أصوات الهجاء لمعانيها في مقدمة الكتاب.[1]

كما أشار فيه إلى كتب اسمه "منتهى العجب في خصائص لغة العرب"، قال عنه أنه ناقش فيه دلالة الأصوات الأبجدية، كما أشار إليه في كتابه "الساق على الساق" وفي هذا الأخير ذكر في مقدمته[2] "أن كل حرف يختص بمعنى من المعاني دون غيره وهو من أسرار اللغة العربية التي قل من تنبه لها، وقد وضعت لهذا كتابا مخصوصا سميه منتهى العجب في خصائص لغة العرب"[3].

أما الدكتور صبحي الصالح فيتطرق في كتابه "دراسات في فقه اللغة" عند الحديث عن مناسبة أصوات العربية لمعانيها فيقول: «أما الذي نريد الآن بيانه فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية»[4] .

ثم يتطرق إلى المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني فيقول: بأن «أهل اللغة بوجه عام والعربية بوجه خاص كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني .....فكان لابد لنا من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية التي تعد فتحا مبينا في فقه اللغات عامة»[5].

---

[1] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربي، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ص 55.

[2] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربي، ص 55..

[3]فارس الشدياق، الساق على الساق في ما هو الفارياق، مكتبة العرب، مصر، 1919، ص 22.

[4]صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار لعلم للملايين، لبنان، 2009، ص 142.

[5]صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص 151.

وهذا النوع من الدلالة سماه المناسبة الطبيعية، وفي الكتاب تحدث عن بعض مظاهر الدلالة الصوتية كالنحت الذي اشترط للتوسع فيه مراعاة نظم العربية، من انسجام الحروف، وتنزيل على أحكام العربية، وصياغة على وزن من أوزانها، وبهذا يكون النحت[1] «وسيلة رائعة لتنمية هذه اللغة وتحديد أساليبها في التعبير والبيان من غير تخفيف لطبيعتها أو عدوان على نسيجها المحكم المتين.»[2]

واستعرض "محمد المبارك" بعض مظاهر الدلالة الصوتية وهي دلالة الأصوات الطبيعية والأصوات الأبجدية، والأوزان، بيَّن في ثناياه أن الصلة ثابتة بين الأصوات ومدلولاتها وأن للحرف قيمة دلالية ووظيفية في تكوين المعنى وتحديده، هي في العربية أظهر وأوضح منها في اللغات الأخرى.[3]

وتتمثل الدلالة الصوتية "عند علي عبد الواحد وافي" في محاكاة الأصوات المسموعة، والأوزان الصرفية، كما يتحدث عن الاشتقاق من الأعيان والنحت[4]، وأما "مازن المبارك" فإن الدلالة الصوتية عنده هي دلالة حركات الإعراب، فبعد استعراضه لآراء المعارضين لدلالة الحركات على المعاني يتساءل عن[5] «الفرق بين الجد بالفتح والجد بالكسرة إن يكن فرقا في الصوت.»[6]

ثم يعقب ذلك بقوله: «بل ما الدلالة الصوتية إذًا وهي من أوضح أنواع الدلالات المعترف بها.»[7]

---

[1] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 56.

[2] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص 274.

[3] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 57.

[4] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 57.

[5] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 57.

[6] مازن المبارك، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت،1979. ص 93.

[7] مازن المبارك، نحو وعي لغوي، ص 93.

أما عند الأوروبيين فإن كثيرا منهم ظل ينتصر لفكرة الصلة بين اللفظ ومعناه حتى أواسط القرن التاسع عشر، فيرى "توماس الإكويتي" أن الأسماء يجب أن تتفق وطبيعتها.[1]

أما "جسبرسن je spersin فيرى ان الصلة وثيقة بين اللفظ والمدلول في الكلمات التي هي من نوع omomotopeia ولكن علينا أن نحذر من المغالاة[2].

وهو ما يعني أن "جسبرسن" كان ممن ينتصرون لأصحاب المناسبة بين الألفاظ ودلالاتها، غير أنه حذرنا من المغالاة في هذا، إذا يرى أن هذه الظاهرة لا تكاد تطرد في لغة من اللغات، وأن بعض الكلمات تفقد هذه الصلة على مر الأيام، في حين أن كلمات أخرى تكتسبها وتصبح فيها واضحة بعد أن كانت لا تلحظ فيها[3].

ويسوق لنا " جسبرسن" أمثلة لتلك النواحي التي نلحظ فيها وثوق الصلة بين الألفاظ والدلالات منها:

وأوضح تلك النواحي ما يسمى omomatoopeia وهي الألفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة. وهذه ظاهرة واضحة في كل اللغات، وهي تشبه ما عندنا في العربية من أمثال الحفيف، والخرير، والزفير، والصهيل، والهزيم ...إلى غير ذلك من كلمات استمدت ألفاظها من الأصوات الكونية وأصوات الحيوانات[4]، يؤكد لنا "جسبسرن" أن الألفاظ التي تعبر عن الصوت الطبيعي قد تنتقل، وتصبح معبرة عن مصدر هذا الصوت، وذلك كأن يصبح الزئير اسما من السماء الأسد، ففي أوروبا طائر يظهر في الربيع ويصيح "كوكو" وكان من الممكن أن تقتنع هذه اللفظة بالتعبير عن صوت هذا الطائر، ولكنها تستعمل الآن للطائر نفسه، فالصفع مثلا كلمة، بدأت فيها يبدو بمثابة صدى لوقع اليد على الوجه فهي حكاية صوت لتلك الحركة الإنسانية، ثم أصبحت تعبر عن نفس الحركة[5] كذلك يشير

[1]صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 58.

[2]صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 58.

[3]إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 68.

[4]إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 69.

[5]إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 69

"جسبرسن" إلى ما عرف عند علماء العربية من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فحين تقارن بين "صر الجندب" و"صرصر الجندب" نرى أن صيغة "صرصر" تفيد تكرير الصوت، وحين نقارن بين "كسر" و"كسَّر" نرى أن التضعيف في الصيغة الثانية قد زاد في دلالتها[1].

ويعد دي سوسيرde soussure من أشهر المعارضين لأصحاب الصلة بين الألفاظ والدلالات إذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد، ومع اعترافه بتلك الصلة في الألفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعية والتي تسمى omomatoopeia يقرر أنها من القلة في اللغات، ومن الاختلاف والتباين باختلاف اللغات الإنسانية، بحيث لا يصح أن تتخذ منها أساسا لظاهرة لغوية مطردة أو شبيهة بالمطردة، هي إنه في رأيه مجرد ألفاظ قليلة تصادف أن أشبهت أصواتها دلالاتها[2].

ويرى همبلتhumboldt(ت1835م) أن أصل الدلالة هي الصوتية وأن الكلمات بدأت واضحة الصلة بين أصواتها ودلالاتها، ثم تطورت تلك الأصوات أو تلك الدلالات وأصبحت الصلة غامضة علينا[3].

ويأتي في مقدمة الفريق الثاني الذي ذهب إلى إنكار الدلالة الصوتية الدكتور عبده الراجحي، فبعد مناقشة أراء اللغويين منذ ابن جني ومن قبله الخليل وسيبويه، وحتى صبحي الصالح يقول[4]: «غير أن اقتناع ابن جني بهذا الرأي، وإعجاب صبحي الصالح به، لا يمنع من التأكيد على أن أهل اللغة بوجه عام يطبقون على رفضه ويرون أنه ليس هناك مناسبة بين اللفظ ومدلوله، وليست هناك علاقة بين الرمز والشيء الذي يرمز إليه»[5]

وممن رأى رأيه الرافض تمام حسان ومحمود فهمي حجازي، فبعد مناقشة الأول لكيفية اكتساب اللفظ لمعناه أنهى حديثه بالتأكيد على أن العلاقة بين الكلمات وبين معانيها

[1]إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 70

[2]إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 70.

[3]صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 58.

[4]صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 59.

[5]عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، لبنان، ص 68.

محددة الاستعمال ومدونة في المعجم، وهذا يعني أنه يرى أن دلالة الألفاظ كلها اصطلاحية.[1]

أما الثاني فإنه أنكر وجود أي صلة بين الألفاظ ومعانيها في حديث استعرض في ثناياه بعض الكلمات من لغات مختلفة يبين فيه أنه[2] «ليست هناك علاقة بين الرمز اللغوي ومدلوله في الواقع الخارجي والعلاقة الوحيدة القائمة بين الرمز الصوتي واللغوي وما يدل عليه هي علاقة الرمز.»[3] ويقول أيضا: «فالكلمة ترمز إلى شيء مادي أو معنوي، وعلى هذا فالعلاقة طبيعية تربط بين الأصوات المكونة لكلمة "منضدة" في العربية، أو كلمة ticch في الألمانية وبين "المنضدة" باعتبارها واقعا ماديا»[4]

أما الغربيون فإن "فندريس" يرى أنه من الحمق الحكم بوجود علاقة بين أصوات الكلمة ودلالتها، غير أنه عاد واعترف بأن بعض الألفاظ أقدر على التعبير من البعض والآخر[5]، وإلى مثل هذا الرأي ذهب "مدفيج" و"ماريوباي" و"دوسوسير"، حيث رأوا أنه لا علاقة بين الصوت ومعناه، وأن العلاقة بينهما علاقة، اصطلاحية وحجتهم كما يقول "ماريوباي": إنه لوصح الافتراض القائل بوجود علاقة فطرية بينهما لكان حتما أن يتكلم الناس لغة واحدة[6]، وقد استمر الجدل بين لغويي أوروبا حتى كانت النهضة في مجال الدراسات الصوتية fhonetics وأصبح اللغويون يؤثرون الدراسة الآلية لمعظم ظواهر اللغة وصارت الغلبة لأولئك المعارضين مبدأ الربط بين الأصوات ومدلولاتها، وتكاد تنحصر أدلتهم في خمسة أمور:[7]

---

[1] صالح سليم عد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 60.

[2] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 60.

[3] محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر التوزيع، ص 14.

[4] محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، ص 14.

[5] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 61.

[6] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 61.

[7] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 62.

1. إن الكلمة الواحدة تعبر عن عدة معان وهو ما يعرف بالمشترك اللفظي.

2. إن الأصوات تخضع للتصور المستمر على توالي الأيام.

3. إن المعنى الواحد قد يعبر عنه بعدة كلمات مختلفة الأصوات وهو ما يعبرون عنه بالترادف.

4. إن الأصوات ذات الدلالة الصوتية قليلة في جميع اللغات بالنظر إلى المعجمات التي تحفظ بين دفوفها عشرات الآلاف من الكلمات.

5. لوصح أن الأصوات ذات قدرة إيحائية فلماذا هذا الاختلاف في اللغات؟

ولعل أفضل رد على هذه النقاط ما ذكره "همبلت" Humboldt في هذا الصدد من «أن اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بواسطة ألفاظ أثرها في الآذان كأثر تلك الأشياء في الأذهان وأن الكلمات بدأت واضحة الصلة بين أصواتها ودلالاتها، ثم تطورت تلك الأصوات أو تلك الدلالات وأصبحت الصلة غامضة علينا.[1]

وهذا يعني أن اللغات بدأت محاكاة لأصوات الطبيعة ثم تطورت تبعا لحاجات الإنسان المتجددة والمتغيرة، حتى وصلت إلى مرحلة أصبحت فيها ملاحظة الصلة بين أصوات الأشياء ومعانيها تكاد تكون معدومة، وتناقصت تلك الكلمات حتى أصبح عددها لا يتجاوز بضع مئات وقد لا يتجاوز بضع عشرات في بعض اللغات وقد صاحب هذا التطور في اللغات تطور جانب آخر أدى إلى إكساب بعض الأصوات الهجائية المكونة للألفاظ التي يستعملها الإنسان، وما يصاحب هذه الأصوات من حركات أدى إلى إكسابها قدرات إيحائية حتى أنها أصبحت أكثر أصواتها مقترنة بأشياء معينة، فمثلا "الحاء" إذا جاء في آخر الكلمة فإنه يدل على السعة والانبساط مثل: السماح، المراح، والفلاح، والنجاح، وغيرها والأمر نفسه نلاحظ في الحركات التي اقترنت بها في ثابتة أو شبه ثابتة فالرفع مثلا علم الإسناد والجر علم الإضافة إلى غير ذلك[2].

[1] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 62.

[2] صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 63.

من خلال ما سبق يمكننا القول أن الدلالة الصوتية لا يمكن إنكارها خاصة وهي تظهر جليا في تغير الأوزان الصرفية في الأفعال وكذا الأصوات الهجائية.

الفصل الثاني

مظاهر الدلالة الصوتية في القرآن الكريم

أولا: دلالة الصيغ الصرفية.

ثانيا: دلالة الألفاظ التي تختلف في صوت واحد.

ثالثا: دلالة الإيقاع.

يعد القران الكريم المصدر الأساس لكثير من علوم اللغة و فنونها، كالنحو و الصرف و البلاغة، وعلم الدلالة كغيره من العلوم يستمد محتوى بحثه في بعض فروعه من القران الكريم و أبرز فروعه : الدلالة الصوتية التي تستمد بدورها البحوث و الدراسات من القران الكريم.

أولا: دلالة الصّيغ الصّرفية:

إنّ دراسة البنية الصّرفية للمفردة القرآنية دورا بالغا في الوصول للمعنى المراد للآية ولعلم الصّرف دوره لا يقلّ عن أدوار علوم اللّغة الأخرى في إبراز دلالة القرآن الكريم، ولقد ربط ابن جنّي (ت392ه) الصّرف بالمعنى، وعرّف الصّرف بقوله: «وهذا القبيل من العلم أعني التّصريف يَحتاج إليه جميع أهل العربية أيمّ حاجتهم، وبهم إليه أشدّ فاقة، لأنّه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزّوائد الدّاخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلّا به»[1].

وبهذا فلعلم الصّرف دور جليّ في إبراز المعاني المختلفة التي تتصرّف بها المفردة القرآنية، وسبب اختيار هذه الصّيغ عن غيرها، فأهميته لا تقلّ عن أهمية باقي علوم اللّغة في كشف دلالات ومعاني الآيات القرآنية «وفائدة التّصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد فالعلم به أهمّ من معرفة النّحو في تعرف اللّغة لأنّ التّصريف نظر في ذات الكلمة والنّحو نظر في عوارضها وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسّر»[2].

1. الألفاظ المضعفة في القرآن الكريم:

ولقد جاءت الألفاظ المضعفة في القرآن الكريم على وجهين: تضعيف في الأسماء وتضعيف في الأفعال.

***ومما جاء في تضعيف الأسماء:**

أ) **الأسماء الجامدة:** ومن أمثلة ذلك:

[1]ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف، تحقيق: إبراهيم مصطفى. عبد اللّه أمين، ط1، ج1/ص2.

[2]الزّركشي، بدر الدّين محمّد بن عبد اللّه، البرهان في علوم القرآن، دط، دت، ص: 297.

*لفظ (رفرف) في قوله تعالى ﴿مُتَّكِـِٔينَعَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[1]

*لفظ (لؤلؤ) وردت في عدة مواضع في القرآن الكريم، فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾[2]

وقوله تعالى ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ اَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[3] وقوله تعالى ﴿يُخْرَجُ مِنْهُمَا اَللُّؤْلُؤُاوَالْمَرْجَانُ﴾[4]

ب) الأسماء المشتقة: ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم لفظ "مزحزح" ونوع الاشتقاق فيه أنه اسم فاعل، وورد اللفظ في قوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ اَلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[5]

لفظ "مذبذبين": ونوع الاشتقاق هنا أنه اسم مفعول، وهذا في قوله تعالى ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَلَآإِلَىٰٓ هَٰٓؤُلَآءِوَلَآإِلَىٰهَٰٓؤُلَآءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اَللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥسَبِيلًا﴾[6]

*** التضعيف في الأفعال:**

وهذا ما حظي بالدراسة في مبحثنا هذا، ووردت في القرآن الكريم على وجهين:

أ) مبنية للمعلوم:

"حصحص"، "عسعس"، "وسوس".

ب) مبنية للمجهول:

"زُحزِح"، "زُلزِل"، "كبكبوا".

وسنتناول في بحثنا هذا صيغتين صرفيتين وردتا في القرآن الكريم ممّا تناسبت أصواتها ودلالاتها هما: صيغة الفعل الرباعي المضعف، صيغة الفعل الثلاثي مضعف العين.

---

[1] سورة الرحمان الآية 75.

[2] سورة الطور الآية 22

[3] سورة الحج الآية 23.

[4] سورة الرحمان الآية 20

[5] سورة البقرة الآية 95.

[6] سورة النساء الآية 142

2. صيغة الفعل الرّباعي المضعّف في القرآن الكريم:

والكلمات في العربية تكون إمّا ثلاثية أو رباعية أو خماسية أو سداسية «وأمّا ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كلّ شيء من الأسماء والأفعال... ثمّ ما كان على أربعة أحرف بعده»[1].

ومن أمثلة الفعل الرّباعي المضعّف في القرآن الكريم ما يلي:

أ. **حصحص:**

وردت هذه اللّفظة في سورة يوسف في قوله تعالى:﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2].

وجاء في لسان العرب «الحصحصة: بيان الحقّ بعد كتمانه. وقد حصحص ولا يقال: حُصحِص. وقوله عزّ وجل:﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ لمّا دعا النّسوة خبّر أن يوسف، قالت: لم يبق إلّا أن يقبلن عليّ بالتّقرير فأقرّت، وذلك قولها: "الآن حصحص الحقّ، تقول: صاف الكذب وتبيّن الحقّ، وهذا من قول امرأة العزيز، وقيل: حصحص الحقّ أي ظهر وبرز"» [3].

فإضافة إلى معنى لفظة (حصحص) الدّال على تبيّن الحقّ، دلّت أيضا على انقطاع الباطل «فمعنى حصحص الحقّ أي انقطع عن الباطل بظهوره وبيانه، وفيه زيادة تضعيف دلّ عليها الاشتقاق مثل قوله (كبوا وكبكبوا) قاله الزجاج. وقال الشّاعر:

ألا مبلِّغ عنّي خداشا فإنّه كذوب إذا ما حصحص الحقّ ظالم»[4]

والملاحظ أنّ البنية الصّوتية للفظ (حصحص) تتكوّن من حرفي الحاء والصّاد مكرّرين أي أنّهما على تصريف الفعل الثّنائي المكرّر التي تدلّ على تكرار حدوث الفعل «ووجدت أنا

---

[1] السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي. علي سيّد علي، دار الكتب العلمية، دت، بيروت - لبنان ص: 105.

[2] الآية 51، سورة يوسف.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادّة حصحص، دار المعارف، القاهرة، دت، تح: عبد الله علي كبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ص 900.

[4] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب، النكت والعيون، تفسير الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ج3، دت، ص47.

من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه، ومنهاج ما مثلاه، وذلك أنّك تجد المصادر الرّباعية المضعّفة تأتي للتّكرير، نحو الزّعزعة والقلقلة والصلصلة، والقعقعة، والصعصعة، والجرجرة، والقرقرة ووجدت أيضا (الفعلى) في المصادر والصّفات إنّما تأتي للسّرعة، نحو البشكى والجمزى والولقى»[1].

واجتماع حرفي (الصّاد) وهو حرف صفيري جهري احتكاكي وحرف (الحاء) وهو حرف مهموس احتكاكي كذلك يصوّر المعنى المعجمي للفظ (حصحص) الذي يقال فيه: «حصّ شعره إذا استأصله جزّا وإنّما أريد في هذا الموضع بقوله [حصحص الحقّ] ذهب الباطل والكذب فانقطع، وتبيّن الحقّ فظهر»[2].

إنّ هذا الاجتماع الصّوتي لحرفي الحاء والصّاد وتوالي الحركتين الفتحة والسّكون يولّد نوعا من الصّعوبة في النّطق التي تتماشى ومشقّة ظهور الحقّ وبيانه بعد اختفائه وانجلائه. هذا الاجتماع يجعلنا نلتمس نوعا من التلاؤم والمطابقة بين التركيبينالصّوتي والدّلالي للفظ (حصحص) ممّا يشعرنا بعظمة القرآن وإعجازه.

ولعلّ القارئ أو السّامع يستشعر أنّ للفظ حصحص جرس موسيقي خلصّ، فاجتماع الحاء وهو «الصّوت المهموس الذي يناظر العين ومخرجهما واحد ولا فرق بينهما إلّا في أنّ الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين" [3] وحرف الصّاد وهو صوت رخو مهموس يشبه السّين في كلّ شيء سوى أنّ الصّاد أحد أصوات الإطباق. فعند النّطق بالصّاد يتّخذ اللّسان وضعا مخالفا لوضعه مع السّين إذ يكون مقعّرا منطبقا على الحنك الأعلى. مع تصعّد أعلى اللّسان وطرفه نحو الحنك ككلّ الأصوات المطبقة»[4].

---

[1]ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجّار، دار الهدىللطّباعة والنّشر، بيروت-لبنان، ص: 153.

[2]عويض بن حمود العطوي، جماليات النظم القرآني في قصّة المراودة في سورة يوسف، المملكة العربية السّعودية، الرّياض، دط، 2010، ص: 117.

[3]إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة نهضة مصر، دت، ص: 76.

[4]إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص: 69.

هذا الانسجام الصّوتي أدّى دورا دلاليا يوحي بظهور الحقّ فعلا وانقطاعه عن الباطل ببيانه وانجلائه، كما يأتي هذا الانسجام الصّوتي ومناسبته للدّلالة المعجمية دليلا وإعجازا على علم اللّه تعالى بأدقّ الأصوات ومناسبتها للمعنى والسّياق الكلّي للآية في آن واحد.

والملاحظ أنّ الاختيار اللفظي المعجِز واضح وجليّ، فلم ترد أي كلمة أخرى لتعوّض لفظ (حصحص) مثل: تكشّف أو تبيّن أو توضّح أو انكشف أو برز أو بزغ أو بدى... (الحقّ)، أو غيرها من الكلمات المعجمية التي تصوّر معنى الآية القرآنية ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]

ممّا يشعر القارئ والسامع في آن واحد بالعظمة والدقّة الإلهية في اختيار ألفاظ القرآن الكريم، هذا الاختيار الدّقيق الذي يجعلنا نشعر بتناسب الصوت والمعنى للفظة القرآنية والسّياق ككلّ.

ب. كُبكِبوا:

وردت لفظة كبكبوا في سورة الشعراء في قوله تعالى : ﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾[2]

وجاء في لسان العرب ما يلي: «الكبكبة الرّمي في الهوة، وقد كبكبه. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴾؛ قال اللّيث: أي دُهوِروا وجُمعوا، ثمّ رُمي بهم في هوة النّار، وقال الزجاج: كبكبوا طرح بعضهم على بعض؛ وقال أهل اللّغة: معناه دُهوروا، وحقيقة ذلك في اللّغة تكرير الانكباب، كأنّه إذا ألقي ينكبّ مرّة بعد مرّة حتّى يستقرّ فيها، نستجير باللّه منها، وقيل قوله: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا﴾ أي جمعوا، مأخوذ من الكبكبة »[3].

وجاء في معجم مقاييس اللغة ما يلي:

«"كب" الكاف والباء أصل صحيح يدل على جمع وتجمع، لا يشِذُّ منه شيء، يقال لما تجمّع من الرّمل كباب. قال:

يثير الكباب الجعد عن متن مَحْمِل

---

[1] سورة يوسف، الآية: 51.

[2] سورة الشعراء، الآية 94.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادّة كبب، دار المعارف، ص 3804.

ومنه: كببت الشيء لوجهه أكبَّه كبًّا. وأكب فلان على الأمر يفعله. وتكبَّبْتُ الإبل، إذا صرعت من هُزال أو أداء. والكبكبة أن يتدهور الشيء إذا ألقي في هوّة حتى يستقر، فكأنه تردد في الكبّ. ويقال: جاء متكببا في ثيابه، أي متزمّلا. ومن ذلك الكبة من الغزل. ومن الباب كوكب الماء، وهو معظمه. والكبكبة: الجماعة من الخيل. والكوكب يسمّى كوكبا من هذا القياس.»[1]

وكما هو معروف فإن كل زيادة في المبنى تؤدي زيادة في المعنى؛ «والكبكبة تكرير الكب، جُعل التّكرير في اللّفظ دليلا على التّكرير في المعنى، كأنّه إذا ألقي في جهنّم ينكب مرّة بعد مرّة حتّى يستقرّ في قعرها»[2].

ولفظ "كبكبوا" يحيلنا إلى نوع من سماع صوت الكب في النار، وهي كلمة مضعفة، فتضعيف المقطع "كَبْ" "كَبَ" أدى دورا في الكشف عن دلالة الآية القرآنية، وهذا ما أدى نوعا من الإحساس أو الشعور بالحركة وعملية الكب في النار، ونوعا من التصوير الفني لأهل النار يركب بعضهم بعضا ويتراكم بعضهم على بعض تماما كما تراكم المقطعان الصوتيان "كب" "كُب" «ليشير اللفظ بجرسه إلى أنهم يكبون شيئا عنيفا غليظا، كما يدل تكرار المقطع "كب" إلى تكرار هذا الدفع، كصفة يدل على الحركة المضطربة وهم يدفعون وكأن بعضهم يدخل في بعض.»[3]

فقد استقل لفظ (كبكبوا) دون غيره من ألفاظ اللغة العربية ليرسم لنا صورة السقوط المتوالي في النار (والعياذ بالله) «وكذلك قوله تعالى﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡوَٱلۡغَاوُۥنَ (94)وَجُنُودُ إِبۡلِيسَأَجۡمَعُونَ (95)﴾فكلمة"كبكبوا" يحدث جرسها صوت الحركة التي تتمُّ بها»[4]إن هذه الاستقلالية اللغوية التي يتصف بها القرآن الكريم تعد من السمات الإعجازية له، فاللغة العربية رغم ثراءها وغناها بمفردات والجذور اللغوية لا تستطيع أن توفر لنا أي مفردة

---

[1]ابن فارس مقاييس اللغة، ج5، ص 124

[2]الزّمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود. علي محمد معوض، مكتبة العبيكاندت، 400/4.

[3]محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان والرسالة -الدقي-، ط1، 1403ه/1988، ص 32

[4]سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص 93

لغوية مترادفة مع اللفظ القرآني «بحيث لو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة»[1]

ج.زُحْزِحَ:

وردت كلمة زحزح في قوله تعالى﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِوَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَفَقَدۡفَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُٱلۡغُرُورِ﴾ [2]

وفي قوله تعالى﴿ وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ﴾[3]

وجاء في لسان العرب: «وزحّ الشيء يزُحُّه زحّا:جذبه في عجلة. وزحّه يزُحُّه زحّا. وزحزحه فتزحزح: دفعه ونحّاه عن موضعه فتنحّى وباعده منه، قال ذو الرمة:

يا قابض الروح عن جسم زمنا وغافر الذنب زحزحني عن النار»[4]

وعن تفسير الآية فقد قيل: «وإنما معنى ذلك: فمن نُحي عن النار فأبعد منها وأدخل الجنة، فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة. »[5]

وأن حرف الزاي: «صوت رخو مجهور يناظر صوت السين، فلا فرق بين الزاي والسين إلا في أن الزاي صوت مجهور نظيره المهموس هو السين»[6] بينما حرف الحاء «هو الصوت المهموس الذي يناظر العين، فمخرجهما واحد ولا فرق بينهما إلاّ في أن الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين.»[7]فكلمة (زحزح) كذلك هي كلمة رباعية مضعفة ،فالمقطع الصوتي (زحّ) مكرّر مرتين، واجتماع (الزاي) وهو صوت مجهور يناظر صوت السين ..وحرف الحاء

---

[1]مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 185.

[2]سورة آل عمران، الآية 185

[3]سورة البقرة الآية 96

[4]ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة ،تح : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي، د ط، دت ،ص 1816 ،مادة :زحح.

[5]الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المجلد الثاني (البقرة – النساء) تح بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ،1415ه/1994م، بيروت، ص 374

[6]إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص68

[7]إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص76

وهو الصوت المهموس الذي يناظر العين ...هذا الاجتماع في الأصوات يجعل السامع أو القارئ يشعر أن هناك شيئا يُزَحزَحُ ويحرَّك شيئا فشيئا عن مكانه. و (زحزح الشيء) عكس (أبعد الشيء) فالزحزحة تعني تحريك الشيء بمقدار يسير (إبعاده). والمقصود هنا أن مجرد الابتعاد عن ملامسة النار ولو شيئا يسيرا هو الفوز العظيم. «وتقرأ قوله تعالى﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾فلا ترى في المعجم غير كلمة "زحزح" تصور مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات. وما يصاحبه من ذعر الذي يمرّ بحسيس النار ويسمعه ويكاد يصلاه.»[1]

فإذا سمعت قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ «صورت لك كلمة "بمزحزحه" المقدمة في التعبير على الفاعل لإبرازها، صورة الزحزحة المعروفة كاملة متحركة من وراء هذه اللفظة المفردة.»[2]

«زح الزاي والحاء. يدل على البعد. يقال زحزح عن كذا، أي بوعد. قال الله تعالى ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أي بوعد.»[3]

د. عسعس:

وردت كلمة عسعس في القرآن الكريم في قوله عز وجل ﴿وَالَيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[4]

أما المعنى المعجمي للفعل عسعس فقد تمثل في «الليل أقبل بظلامه والذّئب طاف بالليل والسحاب دنا من الأرض ليلا»[5]

أما عن تفسير الآية الكريمة فقد قيل عنه «إقباله بظلامه _قال مجاهد: أظلم، وقال: سعيد بن جبير إذا نشأ _ وقال الحسن البصري: إذا غشي الناس وكذا قال عطية العوفي.

---

[1] صبحي الصالح، مباحث في علوم لقرآن، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، آب (أغسطس)1977، ص335.

[2] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق القاهرة، 8 شارع سيبويه، المصري، دط، دت، ص93.

[3] أبي الحسن أحد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج3، دط، دت، ص 07

[4] سورة التكوير، الآية 17

[5] معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 2004م/1425هـ، الطبعة الرابعة، ص 600

وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس: ﴿إِذَا عَسْعَسَ ﴾ إذا أدبر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك [...] إذا ذهب فتولى .»[1]

إن صوت العين «هو صوت حلقي احتكاكي مجهور»[2] بينما صوت السين هو «صوت رخو مهموس.»[3]

إن كلمة عسعس «هي من ألفاظ الأضداد تأتي بمعنى : أقبل الظلام أو أدبر الظلام وحل النهار، ويتناسب هذا التضاد مع صفتي الصوتين المكررين، فحرف العين من حروف الحلق بينما حرف السين هو حرف أسناني لثوي وهذا التباعد في المخرج يشعرك بتباعد الليل والنهار فضلا أن العين هو حرف مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة وهو ما ألبسه هذا المعنى فالوقت إذا توسط الليل لم يسمع لأحد صوت إذ يهجع الناس إلى مضاجعهم، وسر التوسط هو ضعف ما يسمع لها من حفيف إذا قورنت بالعين وضعف حفيفها يقربها من الميم والنون واللام ويجعلها من هذه الأصوات التي هي أقرب إلى طبيعة أصوات اللين.»[4]

إضافة إلى أن اللفظ «عسعس مؤلف من مقطعين "عس عس" وهو يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى.»[5]

ومنه نستنتج أن تكرار الصوتين العين والسين هو تكرار متناغم يوقع في النفس راحة، ويقربها من أصوات الطبيعة الهادئة التي لا تمل النفس من سماعه، ومنه تشعر النفس كأن أمرا سيقبل على الانتهاء ليبدأ أمرا جديدا تحاول أن تجد فيه ملاذا للراحة والاطمئنان.

هـ. دمدم:

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 2000م/1430، الطبعة 1، ص1967.

[2] كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000، دط، ص 304

[3] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، دت، دط، ص 67

[4] كرام قمرة، الرباعي المكرر ومشتقاته في القرآن الكريم "دراسة صوتية ودلالية"، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمّة لخضر- الوادي (الجزائر)، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد: 13، العدد 01، التاريخ 2012/03/15، ص 905

[5] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، 1972ط1 ،1423/2003 ط32، مجلد 1، الأجزاء 4.1 ص 3841.

لقد ورد فعل دمدم في الآية الكريمة لقوله تعالى﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْفَسَوَّىٰهَا﴾[1]

بالنسبة لمعناها المعجمي فقد قيل «غضب،وفيالتنزيل﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ﴾والقوموعليهم: طحنهم فأهلكهم، والشيء أهلكه مستأصلا، وعليه القبر وما أشبهه: سوّى أو أطبق»[2]

أما في تفسير الآية نجد «أي غضب عليهم فدمّر عليهم»[3] وأضافوا أيضا «والدمدمة الغضب وما يتبعه من تنكيل، واللفظ ذاته (دمدم) يوحي بما وراءه ويصور معناه بجرسه ويكاد يرسم مشهدا مروعا مخيفا، وقد سوّى الله أرضهم عاليهابسافلها. وهو المشهد الذي يرتسم بعد الدمار العنيف الشديد.»[4]

إن الصوتين الموجودان في الفعل دمدم والمكررين "الدال والميم" لكل واحد منهما نفس الدلالة وهما «أصل واحد يدل على غِشيان الشيء من ناحية أن يطلى به تقول دَمَمْت الثوب إذا طليته أي صبغ، وكلّ شيء طُلي على شيء فهم دِمام، فأما الدمدمة فالإهلاك.»[5]

وعليه نجد أنّ «هذا الموقف الضاج والمدوي الذي يعبر عنه الفعل تعود فيه قوّة تصوير الدوي إلى مزية التقاء حرفي الدال والميم. فالدال حرف أسناني لثوي في مخرج صفته الجهر والشدة في عموم التصويت به، وصفة القلقة في خصوصيته الجرسية وقد جعل لصوق حرف الميم به حرفا مجهورا وانفجاريا قويا يحدث دويا في أذن السامع، أما حرف الميم يلتقي به في صفة الجهر وتقارب المخارج وهو وسط بين الشدة والرخاوة ومخرجه الشفتان ومما يلي الشفتين مخرج الباء والميم والواو، أما الميم فهو حرف علة ويخرج من الخياشم لا عمل للسان فيه مع صنوه النون وهي من صفات الشدة والوضوح. وقد جُعِلت

---

[1] سورة الشمس الآية 14

[2] معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص296

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص2001

[4] السيد قطب، في ظلال القرآن، ص4596

[5] أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979م/1399هـ، تح: عبد السلام هارون الجزء الثاني، دط، د مكان النشر، ص 260

الخاصية الصوتية الجهرية لحرف الدال منه الأنسب تعبيرا عن الرهبة وقوة الدمدمة، وجعلت منه غنة الميم الأكثر تدليلا على غضب الله على هؤلاء الأقوام، والتكرار في الحرفين متابعة وتعاقب مما يوحي أن صيغة (فعلل) دللت على التضعيف في العقاب وترديده مع شدة البطشة وهو ما تنسجم معه حال الغضب وتكون نتاجا له وهي صورة متكاملة للدمدمة وصفها القرطبي بالإطباق وقال دمدم عليه القبر أطبقه فإذا كررت الإطباق قلت دمدمت.»[1]

ومنه يمكن القول إن الصوتين "الدال والميم" قد اشتملتا على صوت قوي شديدي جهري مكَّنهما من تصوير دلالة الكلمة، مما يجعل في النفس شيئا من الخوف والفزع، وفيه ترهيب للنفس حتى تبتعد أشدّ الابتعاد على الكفر والطغيان.

3: الفعل الثلاثي مضعف العين في القرآن الكريم:

أ) الفعل غلّق:

لقد ورد الفعل غلّق في الآية الكريمة في قوله عز وجل﴿ وَرَٰوَدَتۡهُٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَوَقَالَتۡهَيۡتَلَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖإِنَّهُۥرَبِّيٓأَحۡسَنَمَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2]إننا نجد المعنى المعجمي للفعل غلّق يعود للجذر الثلاثي «غلق: الباب غلقا، أو رصده /غلق الباب غلقا: عسُر فتحه، والرهن غلقا وغُلوقا لم يقدر راهنه على تخليصه من يد المرتهن في الموعد المشروط فصار ملكا للمرتهن[..] (غالق) على الشيء: راهن عليه. غلّق الأبواب مبالغة أغلقها.»[3] أما في تفسير الآية الكريمة فهنا «يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾أي: حاولته على نفسه ودعته إليها، وذلك أنها أحبته حبا شديدا لجماله وحسنه وبهائه [...] وغلّقت الأبواب ودعته إلى نفسها [...] فامتنع من ذلك أشد الامتناع»[4]

---

[1]كرام قمرة، الفعل الرباعي المكرر ومشتقاته في القرآن الكريم، ص906/905

[2]سورة يوسف، الآية 23

[3]معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص659

[4]ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 980

إن الأصوات التي جُمعت في الفعل غلّقت شملت الغين واللام والقاف، أما الغين فهي صوت رخو مجهور مخرجه أدنى الحلق إلى الفم، أما اللام في هذه الكلمة مرققة والأصل فيها الترقيق ولا تغلظ إلا لشرطين، الأول أن يجاور اللام أصوات الاستعلاء ولا سيما الصاد والطاء والضاد ساكنا أو مفتوحا، والشرط الثاني أن تكون اللام نفسها مفتوحة مثل في قوله تعالى﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾واللام صوت متوسط بين الشدة والرخاوة وجهور أيضا. أما القاف فهي صوت شديد مهموس عند قرّاء مصر، مع أن جميع كتب القراءات وصفتها بأنها من الأصوات المجهورة.[1]

ب) الفعل قطّع:

لقد ورد الفعل قطّع في الآية الكريمة في قوله تعالى﴿ وَقَطَّعْنَأَيْدِيَهُنَّ﴾[2]

لقد جاء المعنى المعجمي للفعل قطع كالآتي: «قطعت الطير قطوعا: طارت من بلاد إلى بلاد. فهي قواطع: ذواهب أو رواجع. والرجل بحبل قطعا اختنق به [...]والشيء قطعا: فصل بعضه وأبانه [...] قطّعه: مبالغة قطع.»[3] أما عن تفسير الآية فقد قيل «وجعلن يقطع أيديهن دهشا برؤيته، وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين، والمراد: أنهن حززن أيديهن بها.»[4]

إن الأصوات الواردة في الفعل قطّع تَمَثل في القاف والطاء والعين، فالقاف «صوت لهوي وقفة انفجارية مهموس»[5]، أما الطاء فهو «صوت شديد مهموس»[6] إضافة إلى أنه «صوت

---

[1]ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ص 53،54،55،72،75

[2]سورة يوسف، الآية 31

[3]معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص745

[4]ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 982

[5]كمال بشر، علم الأصوات ص 276

[6]إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 53

أسناني لثوي وقفة انفجارية مهموس مفخم (أو مطبق).»[1] أما العين فهو «صوت حلقي احتكاكي مجهور»[2] كما أنه «عند القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة»[3].

إن المتأمل في هذين الفعلين "قطّع وغلّق" يفهم من خلال أصواتهم أن هناك مبالغة في الفعل [4]من خلال تضعيف عين الفعل، ومنهم من ردَّ تكرير العين «دليلا على تكرير الفعل فقالوا كسَّر وقطّع وفتّح وغلّق. وذلك أنهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما وكنوفة بهما فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها.»[5]

ومنه يمكننا القول إن الأصوات الثلاثة قد اجتمعت صفاتها وتوحّدت لتُعطينا صوتا شديدا ينقل لنا دلالة الكلمة.

ثانيا: دلالة الألفاظ التي تختلف في صوت واحد:

وألفاظ هذا النوع كثيرة وجلية في القرآن الكريم؛ وقد نستطيع التماسها وهذا بتغير صوت واحد بين كلمتين لهما نفس الدلالة تقريبا حيث يتغير المعنى تغييرا يسيرا ما بين شدة الحرف ولينه، أو قوته وضعفه. أو دلالتين متناقضتين مثل (العسر واليسر) «فأمَّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج مثلثٍّ عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر عنها، فيحدّ لونها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدّره. وأضعاف ما نستشعره.»[6]

---

[1]كمال بشر، علم الأصوات ص 250

[2]كمال بشر، علم الأصوات ص 304

[3]إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص75

[4]ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، دت، دط، ص 33

[5]أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج2، ص155.

[6]أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج2، ص 157.

1: ما وقع في أول الكلمة: وأمثلةهذاالنوعكثيرةمنها:

أ. بكّة ومكّة:

قال الله تعالى﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1]وقال عزّ وجلّ أيضا في موضع آخر:﴿ وَهُوَ ٱلذِے كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنَ اَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾[2]

وجاء في لسان العرب: «وبكّة: مكّة: سُمِّيت بذلك لأنها كانت تبكُّ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم، وقيل: لأنَّ النّاس يتباكُون فيها من كلّ وجه أي يتزاحمون، وقال يعقوب: بكّةُ ما بين جبلي مكّة لأنّ النّاس يبكُّ بعضهم بعضا في الطّواف أي يزحَمُ»[3] وعن مادّة (مَكَكَ) جاء في لسان العرب أيضا: «والمَكُّ: الازدحام كالبكّ. ومكّة يمكّهُ مكّا: أهلكَه»[4] أما عن لفظ (مكَّة): ومكّة: معروفة البلد الحرام، وقيل: سُمِّيت بذلك لقِلة مائها. وذلك أنهم كانوا يمتكّون الماء فيها. أي يستخرجونه، وقيل: سُميّت مكّة لأنها كانت تمكُّ من ظلَم فيها وألحد، أي تهلِكُهُ؛ قال الرّاجز:

يا مكّة الفاجر مُكّي مكّا ولا تَمُكّي مدحجا وعكًّا [5]

فـ(مكّة) و(بكّة) لهما نفس الدلالة في القرآن الكريم والمقصود بهما بيت الله الحرام، لكن هناك من فرّق بين المعنيين: «وقال يعقوب: مكّة الحرم كلّه، فأمّا بكّة فهو ما بين

[1]سورة آل عمران الآية 96

[2]سورة الفتح الآية 24

[3]ابن منظور، لسان العرب، ص ص 335،336

[4]ابن منظور، لسان العرب، ص 4248

[5]ابن منظور، لسان العرب، ص 4248

الجبلين (حكاه في البدل). قال ابن سيده: ولا أدري كيف هذا لأنّه قد فرّق بين مكّة وبين بكّة في المعنى. وبين أنّ معنى البدل والمبدل منه سواء.»[1]

وجاء عن أغلب المفسرين أنهما على نفس الدلالة «فإذا كانت "بكة" ما وصفنا، وكان موضع ازدحام النّاس حول البيت، وكان لا طواف يجوز خارج المسجد، وأن ما كان خارج المسجد فمكة، لا بكّة، لأنه لا معنى خارجه يوجب على الناس التّبكاك فيه. وإذ كان ذلك كذلك، كان بيّناً بذلك فساد قول من قال "بكة" اسم لبطن "مكة"، ومكة اسم للحرم.»[2]

فإبدال (الباء) (ميما) أو (الميم) (باءً) لا يُغيّر دلالة الكلمة إذ لهما دلالة مشتركة بالرغم من اختلافها في صوت واحد: (الباء) و(الميم).

ب.أزّ وهزّ:

ورد الفعلان (أزّ) و(هزّ) في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[3]وقال الله تعالى في نفس السورة﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[4]

والفعلان (أزَّ) و(هزَّ) يفيدان الدفع ويتشابهان في نطق (الهمزة) و(الهاء) لقربهما من المخرج؛ فكلاهما حرف حلقيّ.

والفرق بين (أزّ) و(هزَّ) أنّ: (الهاء) حرف ضعيف لذلك (هزَّ) يفيد الدفع برفق. فحين أمر الله تعالى السيدة مريم بأن تدفع جذع النّخلة برفق لأنها في حالة مخاض قال لها﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾سورة مريم الآية 25.

أما الهمزة: فحرف قوة وشدة، لذلك أفاد الفعل (أزَّ)الدفع بقوّة ومن ذلك قول الله تعالى في تسليط الشياطين على الكافرين:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾سورة مريم الآية 83.

---

[1]ابن منظور، لسان العرب، ص 4248

[2]الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مجلد 2، ط1، 1994/1415، ص 293.

[3]سورة مريم، الآية 83

[4]سورة مريم، الآية 25

وفي تفسير قوله عزّ وجلّ:﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾قيل: «فيه ثلاثة أوجه. أحدهما: تزعجهم إزعاجا حتى توقعهم في المعاصي، قاله قتادة. الثاني تغويهم إغواءً قاله الضحاك. الثالث تغريهم إغراءً شديدا: إمضإمض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار. قاله ابن عباس.»[1] وجاء في لسان العرب «أزّ يؤُزُّ أزًّا. وهو الحركة الشديدة قال ابن سيده: هكذا حكاه ابن دريد، وقول رؤبة:

لا يأخذ التأفيكوالتَّحزّى فينا ولا قول العدى ذو الأزّ»[2]

وفي معنى (هزَّ) ما يلي: «الهزّ: تحريك الشيء كما تهز القناة فتضطرب وتهتز، وهَزَّهُ يهزُّه هزًّا وهزَّ به، وهَزَّزَهُ. وفي التنزيل العزيز:﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾أي حرِكي. والعرب تقول: هزَّهُ وهزَّ به إذا حرَّكه، ومثله: خُذِ الخطامِ وخذ بالخطام وتعلق بزيد، قال ابن سيده: وإنما عدّاه بالباء لأن في هُزِّي معنى جُري، وقال المتنخلُ الهذِليُّ:

قد حال بين درسيه مؤوَّبة مِسْحٌ لهما بعضاه الأرض تهزيزُ.»[3]

ففي كل مرة نستشعر عظمة ودقة الخطاب القرآني، حين اختار لفظ (أزَّ) بما في الهمزة من قوة وشدة في الحديث عن الكفار، في حين نجد في لفظ (هزي) لما في حرف (الهاء) من لين وخفة في تصوير مشهد المخاض والولادة، فالحركة الخيفة هي بدورها تتناسب والحالة الصحية للسيدة مريم عليها السلام.

ج. العسر واليسر:

وردت اللفظتين في مواضع عديدة من القرآن الكريم، والعسر نقيض اليسر فهما لفظان متضادان في المعنى، قال تعالى﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[4]وتكرّرت الكلمتين في الآية التي بعدها للتأكيد؛ قال الله تعالى﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[5] وقال الله تعالى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ

[1]أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماروردي البصري، النكت والعيون (تفسير الماروردي)، ج3، ص389.

[2]ابن منظور، لسان العرب، مادة أزز، ص 72

[3]ابن منظور، لسان العرب، ص4661

[4]سورة الشرح الآية 05

[5]سورة الشرح الآية 06

سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[1]. وقال الله تعالى في موضع آخر﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[2]وهذا في الخير، وقال الله تعالى﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[3]وهذا في الشر، «والميسور: ضد المعسور، وقد سيره الله لليسرى أي وفقه لها." وأضاف الفراء في معنى الآية الكريمة" لقوله عز وجل﴿فَسَنُيَسِّرُهُلِلْيُسْرَىٰ﴾يقول: سنهيّئه إلى العمل الصالح»[4].

وعن مادة (يسر): «اليسر: اللين والانقياد يكون ذلك للإنسان والفرس، وقد سير يسرَهُ. وياسره: لاينه؛ أنشد ثعلب:

قوم إذا شمسوا جدّ الشماس بهم ذات العناد وإن ياسرتهم يَسروا

وياسره أي ساهله.»[5]

أما عن مادة (عسر). فقد جاء عنها: «العُسْرُ والعُسُرُ: ضد اليسر، وهو الضيق والشدّة والصعوبة. قال الله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقال جل جلاله في موضع آخر ﴿فإن مع العسر يسرا إنَّ مع العسر يسرا﴾ »[6] وأضاف ابن منظور قائلا: «والعسرة والمَعسَرَة والمعسُرة والعسرى: خلاف الميسَرَةِ. وهي الأمور التي تتعسر ولا تتيسَّر. واليسرى ما استيسر منها والعسرى تأنيث الأعسر من الأمور»[7]

وفي كل مرة نلتمس دقة التعبير القرآني في اختيار الألفاظ المناسبة لكل سياق، حين استعملت (الياء) ذات صفة اللين والسهولة لتدل على (اليسر)، في حين استعمل حرف (العين) ذو المخرج الشديد القوي للدلالة على (العسر) الذي يدل على الشدة والصعوبة. هذا ما يشعرنا دائما بعظمة كلام الله عز وجل وعظمة هذا الدين ككل، و«تلك طريقة

[1]سورة الطلاق الآية 07

[2]سورة الليل الآية 07

[3]سورة الليل الآية 10

[4]ابن منظور، لسان العرب، ص 4958

[5]ابن منظور، لسان العرب، مادة: يسر، ص 4957

[6]ابن منظور، لسان العرب، مادة عسر، ص2938

[7]ابن منظور، لسان العرب، ص2939

القرآن. وإنها لفن قائم وحده إزاء المعاني والأغراض وهو في أفقه الرفيع، كفاء تلك المعاني وصنو هذه الأغراض.»[1]

2. ما وقع في وسط الكلمة: ولقد تضمن أمثلة عديدة منها:

أ. النّأي والنهي:

نَلحظ أن الكلمتين مركبتين من ثلاث حروف: (النون) و(الياء) والحرف الثالث متغيّر بينهما وهما على التوالي: (الهمزة) و(الهاء). ووردت اللفظتان في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَيُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَكَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآإِلَّآأَسَٰطِيرُٱلۡأَوَّلِينَ (26) ۞وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَعَنۡهُۖ وَإِنۡ يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[2]

وعن معنى (نأى) جاء في لسان العرب: «نأى: النَّأي: البعد نأى ينأى: بعُدَ، بوزن نعى ينعى. ونأوتُ: بعُدت، لغة في نأيت. والنأي: المفارقة؛ وقول الحطيئة

وهند أتى من دونها النأي والبعد، إنما أراد المفارقة، ولو أراد البعد لما جمع بينهما.»[3]

وعن معنى (نهى) جاء في لسان العرب أيضا: «نهى النهي: خلاف الأمر: نهاه ينهاه نهيا فانتهى وتناهى: كفَّ؛

أنشد سيبويه لزيادة بن زيد العذري:

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده أطال فأملى أو تناهى فأقصرا»[4]

كلٌّ من (الهمزة والهاء) حرف حلقي بيد أن الهمزة «صوت شديد. لا هو بالمجهور ولا بالمهموس. لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تامًّا، فلا نسمع لها ذبذبة الوترين الصوتيين،

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، رابعة العدوية، مدينة مصر،دط، دت، ص 252.

[2] سورة الأنعام الآية 27/26

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة (نأى) ص 4314

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة (نهى) ص 4564

ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلاَّ حين تنفرج فتحة المزمار، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة»[1]

من هنا نستشعر أن آلية نطق الهمزة جاءت مصاحبة ومتضافرة في الوقت نفسه مع الدلالة المعجمية للفظ (نأى) التي تعني البعد و«مفارقة. إضافة إلى أن ذلك الغلق التام على مستوى فتحة المزمار جعل زمن نطق الهمزة يتوزع إلى فترتين متباينتين: ما قبل الانفجار وما بعده»[2]

لكن فيما يخص حرف (الهاء) فالأمر يختلف تماما. فالهاء «صوت رخو مهموس، عند النطق به يظل المزمار منبسطا دون أن يتحرك الوتران الصوتيان: ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعا من الحفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار، ويتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع الذي يتخذه عند النطق بأصوات اللين»[3]

إنّ بعد مخرج (الهمزة) مقارنة ب(الهاء) يتناسب والدالة الصوتية للكلمتين (نأى) و(نهى) إذ أننا نستشعر أثناء النطق أنّ مخرج (الهمزة) يكون من أقصى الحلق بعد (العين) – وفق ترتيب الخليل – بينما(الهاء) تخرج من مخرج يأتي بعدها (وسط الحلق. وفق ترتيب الخليل)، هذا الترتيب الصوتي يحيلنا إلى المعنى المعجمي ومناسبته وموافقة له، فالنأي أتى بمعنى (البعد) في حين أن النهي يأتي بمعنى (الكف) وهو خلاف الأمر.

3. ما وقع في آخر الكلمة: ومنه نذكر:

أ.نضخ ونضح:

إنّ مجرّد نطق اللفظتين سيستشعر السّامع قوّة (النضخ) مقارنة ب(النّضح) ف(نضخ) أقوى وأشدّ في التعبير عن حركة الماء. وقد وردت هذه اللفظة في سورة الرحمان في قوله

---

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 77

[2] كاملي بشير، الصوت والدلالة في القرآن الكريم، مذكرة نيل درجة الماجيستير في الحضارة الإسلامية، تخصص لغة ودراسات قرآنية، قسم لعلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعة 2012م/2013م، ص 201.

[3] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 76

تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[1] وعن معنى (نضح) جاء في لسان العرب: «النّضخ: الرش. نضح عليه الماء ينضحُهُ نضحا إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاش، ونضح عليه الماء: ارتشَّ.»[2] فهنا نستشعر دلالة الخفة لا القوة (خفة حركة الماء).

وفيما يلي ذلك يقول: «النّضحُ ما كان على اعتماد وهو ما نضحته بيدك معتمدا...والنّضخ: ما كان على غير اعتماد، وقيل: هما لغتان بمعنى واحد.»[3] إذاً ف(النّضح) هو نفسه (النّضخ) إلاَّ أنَّ الاختلاف يكمن في القوة والضعف في حركة الماء، وهذا ما يتناسب بقوة (الخاء) وضعف (الحاء) فجُعِلَ (النَّضخُ) للقوّة و(النَّضح) للضعف. «ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ وجعلوا الحاء –لرقّتها – للماء الضعيف. والخاء –لغلظها-لما هو أقوى.»[4] أمّا في معنى (نضخ) فقد قيل: «النَّضح: شدة فور الماء في جيشانه، وانفجاره من ينبوعه، قال أبو علي: ما كان من سفلٍ إلى عُلوٍّ فهو نضخٌ.»[5]

ب) الرجس والرجز:

جاء في لسان العرب: «الرجس: القَذَرُ: وقيل: الشيء القذر، ورجس الشيء يرجس رجاسة، وإنه لرجس مرجوس، وكل قذر رجس. »[6]

أما عن المعنى اللغوي ل"الرجز": «الرجز: القذر مثل الرجس، والرجز العذاب، والرَّجزُ والرُّجزُ: عبادة الأوثان. وقيل: هو الشرك ما كان تأويله أن من عبد غير الله تعالى فهو على ريب من أمره واضطراب من اعتقاده، كما قال سبحانه وتعالى﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾أي على شك وغير ثقة ولا مُسكة وطمأنينة»[7]

---

[1] سورة الرحمان الآية 65

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة نضح، ص4450

[3] ابن منظور، لسان العرب، ص 4450

[4] أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، دار الكتب المصرية، تح: محمد علي النجار، ص 158

[5] ابن منظور، لسان العرب، مادة نضخ، ص4452

[6] ابن منظور، لسان العرب، مادة "رجس"، ص 1590.

[7] ابن منظور، لسان العرب، مادة "رجز"، ص 1589.

والملاحظ هنا أن بين اللفظتين جناس ناقص فالاختلاف يكمن في صوتي "السين" و"الزاي"، والفرق يكمن في بعض الصفات الصوتية لهذين الحرفين كما هو موضح كالآتي:

الكلمة	الحرف	مخرجه	صفاته		
رجس	السين	الأسنان واللثة مع حد اللسان وطرفه	رخو	مهموس	صفيري
رجز	الزاي	الأسنان مع اللثة مع حد اللسان وطرفه	رخو	مجهور	صفيري

وحسب المعنى المعجمي فإن اللفظتين مترادفتين تماما في المعنى. لكن إعجاز القرآن يكمن أيضا في اختيار الألفاظ، لهذا لم يستعمل القرآن الكريم هذين اللفظتين لمجرد التنويع، بل الأمر متعلق أيضا بالمعنى الذي يتضمنه سياق الآية ككل، وفيما يلي نستعرض بعض معاني الكلمتين مما ورد في كتب التفاسير:

***الرجز:**

وردت في القرآن في عدة مواضع وبعدة تفاسير نذكر منها:

أ. جاءت بمعنى الأوثان: في قوله تعالى﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[1]

ب. وجاءت بمعنى وسوسة الشيطان وهذا في قوله تعالى﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾[2]

[1]سورة المدثر، الآية 5

[2]سورة الأنفال الآية 11

ت. وجاءت بمعنى العذاب في قوله تعالى﴿ ۖلَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[1]

وقوله تعالى﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[2]
وفي قوله عز وجل﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ۖ﴾[3]

***الرجس:**

وأن لفظة "رجز" وردت في القرآن بعدة معاني، فإن كلمة "الرجس" وردت بعدة معاني أيضا، نذكر منها:

أ. وردت بمعنى الشر، هذا في قوله عز وجل﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[4]

ب. وردت بمعنى الخبث والحرام، وذلك في قوله تعالى﴿ فَإِنَّهُۥرِجْسٌأَوْفِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[5]

ت. وجاءت بمعنى النجس، في قوله تعالى﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْۖإِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾[6]

ث. وجاءت بمعنى الإثم: في قوله تعالى﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[7]

بعد سردنا للمعاني المختلفة للفظتين "الرجس" و"الرجز" نلحظ أن كلمة "الرجس" ارتبطت دلاليا بكل ما هو معنوي: الخبث، النجس، الشر...إلخ، وأن كلمة "الرجز" ارتبطت دلاليا

[1] سورة الأعراف الآية 134
[2] سورة الأعراف الآية 135.
[3] سورة الأعراف الآية 162
[4] سورة التوبة الآية 125.
[5] سورة الانعام الآية 145.
[6] سورة التوبة الآية 96
[7] سورة الأحزاب الآية 33

بكل ما هو حسي: الأوثان، العذاب...إلخ، فقد تناسبت الدلالة الصوتية كذلك في هذا المثال، إذ جعلت "السين" وهو «صوت رخو مهموس»[1] لكل ما هو معنوي غير محسوس. وجعلت الزاي وهو «صوت رخو مجهور يناظر صوت السين»[2] لكل ما هو محسوس، ويلاحظ أن «السين والزاي أختان ويفرق بينهما همس الأولى وجهر الثانية»[3]، إذ تناسب الصوت المهموس مع ما هو معنوي غير ظاهر، وتناسب الصوت المجهور مع ما هو حسي ظاهر «أنظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني؛ فجعلت الحرف الأضعف فيها والألينوالأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأخف عملا "أو صوتا"، وجعل الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حساً.»[4]

ومن المفارقات العجيبة وما جاء في كتب الإعجاز العددي في القرآن الكريم أن اللفظتين "رجس" و"رجز" وردتا بمقدار متساوٍ حيث أنهما تكررتا في القرآن عشر مرات في تسع آيات في سبع سور.

ثالثا: دلالة الإيقاع:

1.تعريف الإيقاع:

إن للقرآن الكريم سمات لا تنتهي ولا تنجلي ولعل أهم سماته التي تميز بها عن باقي الكلام فهو ذلك التناسق الجمالي والجرس الموسيقي الذي يحدثه ذلك الانتظام الصوتي للحركات والغنن والمدود، إذ أن أول ما يقع في الأذن هو ذلك الإيقاع الصوتي الذي يظهر في ما بين خفض ورفع ونبر وتنغيم، وتناسبه في الوقت ذاته مع دلالة الألفاظ والسياق الكلي للآية.

---

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 67.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 68

[3] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1997، 1418، ص 316.

[4] عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص 53

ولقد تنوعت شروح وتفاسير مصطلح الإيقاع و تعددت بتعدد المعاجم والكتب التي ورد فيها. وهو مشتق من الجذر اللغوي (وقع) وجاء في لسان العرب ما يلي: «وقع على الشيء ومنه وقعا ووُقوعا: سقط، ووقع الشيء من يدي كذلك، وأوقعه غيره ووقعت من كذا وعن كذا وقعا، ووقع المطر بالأرض، ولا يقال سقط، هذا قول أهل اللغة، وقد حكاه سيبويه فقال: سقط المطر مكان كذا فمكان كذا»[1]

وفي معجم العين: «الوقْع: وقعه الضرب بالشيء، ووقع المطر، ووقع حوافر الدابة، يعني: ما يسمع من وقعه. ويُقال للطّير إذا كان على أرض أو شجر: هُنَّ وقوعٌ ووُقَّعٌ. قال الراعي:

كأن على أنباجها حسين شوّلت بأذنابها قبا من الطير وُقَّعًا.»[2]

ولقد جاء في لسان العرب: «الإيقاع: من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يُوقع الألحان ويبينها، وسمى الخليل رحمه الله، كتابا من كتبه في ذلك المعنى كتاب الإيقاع.»[3]

وعن تعريفه الاصطلاحي: «اتفاق الأصوات وتوقيعها في الغناء، (أوقع) المعنى: بنى ألحان الغناء على موقعها وميزانها.»[4]

2) الإيقاع عند العرب القدامى:

لقد تعددت الآراء واختلفت المفاهيم بين العرب القدامى فيما يخص الإيقاع، وبحسب تخصصاتهم فاللغوي قدَّم رأيه، والناقد أدلى بدلوه، والأديب جال وتمحص فيه، وها نحن سنتكلم على آراء مجموعة من العلماء منهم الناقد والأديب واللغوي.

***الإيقاع عند ابن طباطبا وأبو هلال العسكري والمرزوقي:**

«يقول ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر: وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدا أجزائه فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص 4894.

[2] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ج2، دط دت، مادة "وقع"، ص 176.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة "وقع"، ص 4897.

[4] نعمان عبد الرحمن متولي، إيقاع الشعر العربي، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2013، ص 132.

المعنى وعذوبة اللفظ، فصفا مسموعه، ومعقولة من الكدر، ثم قبوله له واشتماله عليه، وإن نقص جزء من أجزائه التي يكمل بها وهي: اعتدال الوزن، وصواب المعنى، وحسن الألفاظ، كان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه [...].

أما أبو الهلال العسكري فيرى أن من فضل الشعر على النثر أنّ الألحان التي هي أهنأ اللذات إذا سمعها ذو القرائح الصافية والأنفس اللطيفة لا تهيأ صنعتها إلا على كل منظوم من الشعر[...].

وغير بعيد عنه ما ذهب إليه المرزوقي في شرح ديوان الحماسة حيث قال: وإنما قلنا تخير من لذيذ الوزن، لأن لذيذه يطرب الطبع لإيقاعه، ويمازجه بصفائه، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال منظومه [...] وعلى هذا فوجود الإيقاع في العروض له هدف جمالي وأثر نفسي، حرص على توافرهما الشعراء، طلبا للتحسين، فالإيقاع يورث اللذة. واللذة لا تأتي مع الفوضى، وهو يتحقق بإجراء الكلام على قانون محدد، فيع في موقع عجيب من النفس.»[1]

ومنه يمكن القول إن ابن طباطبا والمرزوقي والعسكري قد توحّدت أفكارهم واهتماماتهم حول الإيقاع، وكان هدفهم واحد ألا وهو الوصول بالإيقاع إلى وضع حدود تضمن نجاح العمل الأدبي من خلال زرع الارتياح والطمأنينة في النفس وهذا من خلال جمالية الكلمات التي ينتقيها الأديب في عمله، فيكون بالإيقاع قد وصل لأمرين مهمين وهما ترك أثر نفسي إيجابي في النفس، ويزيد للعمل الأدبي شعرا كان أم نثرا جمالا لغويا جذابا لا تمل النفس من قراءته.

3) الإيقاع عند العرب المحدثين:

تعددت تعريفاته وتنوعت بتنوع الآراء والدراسات والتخصصات، فعند محمد غنيمي هلال: «الإيقاع: ويقصد به وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام، أو في أبيات

[1] محمد سلمان، محمد علي علوان، شعر الحداثة دراسة في الإيقاع، ص ص 25/24/23/22

القصيدة وقد يتوافر الإيقاع في النثر، مثلا فيما سماه قدامة: "التصريع" ومثاله: " حتى عاد تعريضك تصريحا وصار تمريضك تصحيحا"، وقد يبلغ الإيقاع في النثر درجة يقرب بها كل القرب من الشعر. أما الإيقاع في الشعر فتمثله التفعيلة في البحر العربي.»[1]

وهنا نرى أن محمد غنيمي هلال ربط الإيقاع بالموسيقى سواء كان ذلك في الشعر أو النثر، وفرق بينه وبين الوزن الذي عرفه بأنه «مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية.»[2]

وفي تعريف آخر هو: «اتفاق الأصوات وتوقيعها في الغناء (أوقع): بنى ألحان الغناء عل موقعها وميزانها.»[3]

وهنا ربط نعمان عبد السميع متولي الإيقاع بالألحان وذلك باتفاق وانسجام الأصوات داخلها وفق تناسق وميزان معين.

ويعرفه ايميل يعقوب كما يلي: «الإيقاع في الاصطلاح الأبي بعامة والشعري بخاصة، هو حركة النغم الصادر عن تأليف الكلام المنثور والمنظور، والناتج عن تجاور أصوات الحروف في اللفظة الواحدة، وعن نسق تزاوج الكلمات فيما بينها، وعن انتظام ذلك كله، شعرا في سياق الأوزان والقوافي.»[4]

ففي التعاريف السابقة كلها نلحظ أن (الإيقاع) يرتبط في كل مرة بالكلام المنثور والمنظوم معا، فهو لا يرتبط بالشعر وحده فقط بل بالشعر والنثر كليهما معا. بل هناك من ربطه بسائر الفنون والأعمال الإبداعية «الإيقاع مصطلح يستعمل في النظر إلى الفنون الجميلة عامة، للدلالة على نسق الحركة الناجمة عن العناصر المكوّنة لكل فنّ، سواء في الرسم من حيث تناسق الخطوط وتزاوج الألوان، أم في النحت والزخارف، من حيث الإيحاء بالشكل

---

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، أكتوبر 1997 ص 435.

[2] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 436.

[3] نعمان عبد السميع متولي، إيقاع الشعر العربي، ص 132.

[4] إميل يعقوب، ميشيل عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، المجلد الأول، دار العلم للملايين: بيروت لبنان، ط1 سبتمبر 1987، ص 276.

والحضور، أم في الموسيقى من حيث تآلف الأنغام. أم في الرقص من حيث التعبير بالحركة ومردودها الفني والجمالي. أم في الشعر والنثر من حيث علاقة الجزء بالكل والأجزاء بعضا ببعض.»[1]

ذلك أن الإيقاع هو «تتابع الأحداث الصوتية في الزمن أي على مسافات زمنية متساوية، أو متجاوبة، ومعنى ذلك أن الإيقاع هو تنظيم لأصوات اللغة بحيث تتوالى في نمط زمني محدد ولا شك أن هذا التنظيم يشمل في إطاره خصائص هذه الأصوات كافة وإن كان الشعر في كل لغة يُبرز واحدة من هذه الخصائص يكون تنظيمها هو أساس إيقاعه.»[2]

4. أنواع الإيقاع:

لقد تعددت أنواع الإيقاع من مجال لآخر، ومن مؤلِّف لمؤَلِّف، فمنهم من قال إن أنواع الإيقاع هي: الحداء والنصب، والركبانية، والقلس أو التقليس، والتهليل، والتغبير، والرجز[3] وآخر قال إن أنواع الإيقاع نوعين هما إيقاع تلقائي وإيقاع مقصود أو فني[4]، ومنهم من ردَّ الأنواع إلى موسيقى داخلية وموسيقى خارجية[5]، وعليه نحن اخترنا أن نتكلم عن الإيقاع التلقائي، وإيقاع مقصود أو فني لأننا وجدناه يتناسب وموضوع بحثنا.

الإيقاع الأول: إيقاع تلقائي غير مقصود:

«وهو ما لا يقصد منه أي نوع من أنواع التأثير الفني في النفس: مثل حركات البندول، ودقات الساعة، وصوت عجلات القطار...إلخ.

الإيقاع الثاني: إيقاع مقصود أو فني:

---

[1] ايميل يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص 276.

[2] سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1993، ص 112.

[3] ينظر: عبد الرحمن الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد، ط1 1989،دمشق برامكة، ص 34/12

[4] ينظر: محمد سلمان، محمد علي علوان، شعر الحداثة دراسة في الإيقاع، دط، دت، د مكان النشر، ص 16/15.

[5] ينظر: عبد الرحمان الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، ص 50،63

وهذا النوع الذي تتعدد عناصره في الفنون كالشعر، والموسيقى، والرقص وهذا النوع مقصود به إحداث تأثيرات وانفعالات معينة في نفس المتلقي لأنه أساسا يعبر عن إحساسات ومشاعر في محدث الإيقاع وبين النوعين السابقين فروق كثيرة نذكر منها:

أ- العلاقة بين العناصر في النوع الأول ظاهرة بسيطة يسهل قياسها-أما في النوع الثاني فهو أخفى وأكثر تركيبا وتعقيدا.

ب- العلاقة في النوع الأول توشك أن تكون حسية خالصة ولهذا لا يتفاوت الناس في إدراكها – بل ربما تدركها بعض الحيوانات وتتفعل بها.

أما العلاقات في النوع الثاني فهي عقلية حسية لا تكفي الحواس ولإدراكها بل تحتاج إلى فكر وثقافة وتدريب، ولذلك يتفاوت الناس في إدراكها [...] وذلك حسب ثقافة المتلقي ونضجه الفكري وخبراته ومؤهلاته لإدراك هذا الإيقاع.

ج-العلاقات بين عناصر النوع الأول تنتظم انتظاما تاما أو شبه تام – أما علاقات النوع الثاني فتجمع بين نظام هذه العناصر انتظاما تاما، وخروجها أحيانا على هذا النظام ولذلك نجد صعوبة في وصفها أو تذوقها.»[1]

وعليه فإن نوعا الإيقاع اللذان سبقا؛ قد اختلفا وتميزا بِكَوْنِ لِكُلِّ واحد منهما صفات تميزه عن الآخر، فالأول تلقائي غير مقصود حُمِلَ على عدم تأثيره في النفس، فهو بسيط غير معقد يمكن لأي شخص أن يحس به، أما النوع الثاني فهو مقصود أو فني سُمِيَّ هكذا لأن عناصره قد اشتملت على الشعر والموسيقى وكل ما هو فني، وقيل عنه مقصود لأنه موجّه للتأثير على النفس، وهو عكس الأول تماما فهو معقد في تركيبه، كما أن فهمه واستيعابه لا يكون عند عامة الناس، بل يوجد عند من هو مثقف ولديه خبرات ومؤهلات؛ تمكنه من فهم هذا الإيقاع.

5.الإيقاع في القرآن الكريم:

[1] محمد سلمان، محمد علي علوان، شعر الحداثة دراسة في الإيقاع، ص 16/15

والقرآن الكريم كلام الله المعجز تحدى به الله العرب قاطبة في كلامهم من شعر ونثر «على أن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا أعفي التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة التي تغني عن القوافي وضمّ ذلك إلى الخصائص التي ذكرنا. فنشأ النثر ولنظم جميعا.»[1]

إذ جاء نظمه الصوتي منتظما متآلفا متناسقا ومتناسبا في الوقت ذاته والمعنى الكلي للآية التي ورد فيها «إن هذا القرآن – في كل سورة منه وآية، وفي كلّ مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام – يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغما، حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب أن نفاضل فيه بين سورة وأخرى، أو نوازن بين مقطع ومقطع، لكننا حين نومئ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص إنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيدها بالدليل، وندعمها بالشاهد، مؤكدين أن القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الموجود في أنغامه وألحانه.»[2]

والإيقاع القرآني أحد عناصر الإعجاز ومظهر من مظاهره إذ أنه ينشأ من «تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاصّ»[3]

ولا شك في أن ذلك الجرس الموسيقي والتناسق الإيقاع هو ما أكسب نصوص القرآن الكريم وآياته تلك الجمالية التي تطرب لها الأذن، ويأنس بها القلب والوجدان، «فالبنية الإيقاعية آلية من آليات التكوين الجمالي داخل النص، فهي التي تكسبه المتعة الجمالية، حيث تعمل الوحدات التي تشكله – سواء أكانت حروفا أو كلمات -على إيجاد أجواء مشحونة بالعواطف والانفعالات تتقبلها نفسية المتلقي وتؤمن بها.»[4]

6: الإيقاع القرآني وعلاقته بالدلالة:

---

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 103/102.

[2] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، آب أغسطس، 1997، ص 334.

[3] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 87.

[4] لطفي فكري محمد الجودي، جماليات الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، ط1 1435هـ/2014م، القاهرة، ص 177.

إن للإيقاع في القرآن الكريم علاقة وطيدة بالدلالات والمعاني العامة فيه، فالمعنى القرآني هو الذي يقود الإيقاع ويتحكم به عكس ما هو عليه في الشعر فالإيقاع فيه هو الذي يقود المعنى، فالنظام الموسيقي هو نظام كامن في القرآن وغير منفصل عن الدلالة والمعنى. وبهذا فالإيقاعات ليست سوى وسيط خادم لغرض الدلالة الكلية والمعنى ككل باعتباره كتاب هداية ودعوة «إذن فالنظام الموسيقي الكامن في الخطاب القرآني لا يأتي منفصلا عن مجال الدلالات والمعاني المكتنزة داخل تلك الخطابات، ممّا يعني أن الإيقاع القرآني مهما قيل عنه من حرارة وقوة وبروز بما يشبه الشعر، فإن المعنى هو الذي يقوده، ويتحكم في مساره. ولعلّ هذا ما ألحَّ عليه الدارسون العرب الذين وضعوا نصب أعينهم أن القرآن كتاب دعوة قبل أي اعتبار آخر، وأن كنوزه المعرفية والشكلية ما هي إلاَّ خادمة لغرضه الأساس.»[1]

7) عناصر الإيقاع في الخطاب القرآني:

نستطيع التماس الإعجاز القرآني في عدة أوجه: صوتية وصرفية ونحوية ودلالية وغيرها، ومن أوجه الإعجاز التي نلتمسها كلما قرأنا أو سمعنا آية في القرآن الكريم ذلك النغم الموسيقي المتولد من اجتماع الحروف على نحو معين «وحسبك بهذا اعتبارا في إعجاز النظم الموسيقى في القرآن، وأنه ممَّا لا يتعلق به أحد، ولا يتفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلاّ فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير.»[2]

أ) الحرف:

وقد أورد لطفي فكري محمد الجودي مثالا يوضح فيه وضعية الحروف وحركتها التكرارية وتناسبها مع الإيقاع في قوله تعالى﴿ وَمَآأَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚوَلَوۡأَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْأَنفُسَهُمۡجَآءُوكَفَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗارَّحِيمٗا (64)فَلَا

[1] لطفي فكري محد الجودي، جماليات الخطاب في النص القرآني، ص 174

[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت،/1424 2003، دط، ص 177.

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَحَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓأَنفُسِهِمْحَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا (65) ﴾[1]

وهو موضح في الجدول الآتي:

الحرف المكرر	الألفاظ التي ورد فيها
السين	أرسلنا، رسول، أنفسكم، فاستغفروا، واستغفر، الرسول، أنفسكم، يسلموا، تسليما.
اللام	أرسلنا، رسول، إلّا، ليطاع، الله، لو، ظلموا، الله، لهم، الرسول، لوجدوا، الله، لا، لا، يسلموا، تسليما.
الميم	ما، من، أنهم، ظلموا، أنفسهم، لهم، رحيما، يؤمنون، يحكموك، فيما، بينهم، ثم، أنفسهم، مما، يسلموا، تسليما.
النون	أرسلنا، من، بإذن، أنهم، أنفسهم، يؤمنون، بينهم، أنفسهم.[2]

فتكرار الحروف: (السين واللام والميم والنون) وفق نظام ونسق معَيَنَيْن أعطى الآية القرآنية نسقا إيقاعيا جميلا طربت له الأذن، وهو بلا شكٍّ متناسب والدلالة الكلية للآية «فلا ريب أن المتأمل ثانية في هذا الجدول البياني، يلمس هذا اللون من تكرار الحروف في القرآن العظيم على أبعاد تكسب النظم إيقاعية تزيده جمالا وحسنا، ذلك أنه ما من أحد يشك في أن الجمالية الإيقاعية تنشأ عن تكرار الحروف في الكلمات على أبعاد مناسبة لسلامة الجرسوصحة النغم في بناء اللفظة أو الجملة أو النسق بصفة عامة.»[3]

[1] سورة النساء الآية65/64.

[2] لطفي محمد فكري، جماليات الخطاب في النص القرآني، ص 175.

[3] محمد حرير، البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن، مجلة التراث العربي، دمشق، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد العرب، دمشق، العددان 100/99، - السنة الخامس والعشرون - تشرين الأول 2005/ رمضان 1426،ص 323.

وللتوضيح أكثر فيما يتعلق بالحركة التكرارية للحرف ودوره في صياغة الإيقاع الكلي للسورة القرآنية، نذكر على سبيل المثال سورة الناس ودور تكرار حرف السين في بناء البِنية الإيقاعية وتناسبها والمعنى الكلي للسورة، «فنوع آخر من تصوير الألفاظ بجرسها يبدو في سورة الناس: ﴿قل أعوذ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾»[1]

للوهلة الأولى نلتمس أن حرف السين يتكرر في كل آية من آيات هذه السورة الكريمة، بل ويتكرر في اللفظ الواحد من ألفاظ هذه السورة، والسين هو الحرف الثاني عشر من حروف الهجاء، وكما سبق وأشرنا أن حرف السين «صوت لخو مهموس، يختلف بعض الاختلاف في مخرجه باختلاف اللهجات العربية، بل وباختلاف الأفراد أحيانا»[2] فهناك من يقول أن مخرجه يكون «من طرف اللسان فوق الثنايا السفلى»[3] وهناك من يرى أن «الكثرة الغالبة ينطقون السين من أول اللسان (مشتركا معه طرف اللسان في بعض الأحيان) حين يكاد يلتقي بأصول الثنايا العليا»[4]

وأما صفات السين التي ذكرنا وهي على التوالي: الهمس، الرخاوة، الصفير، توحي فعليا إلى وسوسة الشيطان التي لا تكون إلا همسا وخفية ودون أدنى صوت «وهذه الصفات تؤهل السين ليتناسب مع الهمس والخفاء والخفوت وخفض الصوت في الوسوسة الصادرة من شياطين الإنس فضلا عن ضعف الوسوسة في ذاتها لاختفائها بذكر الله تعالى»[5] ، في حين أن ذلك التكرار لحرف السين أثناء القراءة يجعلك تشعر أن صوتك يحدث وسوسة جلية، وفي هذا يقول سيد قطب «إقرأها متوالية تجد صوتك يحدث وسوسة كاملة تناسب جوّ

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 94

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 67.

[3] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 67

[4] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 68.

[5] شاكر سبع الأسدي، سورة الناس دراسة صوتية دلالية، مجلة آداب ذيقار، العدد3، المجلد1، أيار 2011.

السورة، جوَّ وسوسة ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِييُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِوَٱلنَّاسِ﴾»[1]

ولمعرفة النسيج الصوتي ومدى ارتباط هذا التركيب بالدلالة الكلية والبِنية الإيقاعية للصوت؛ نقدم الجدول الآتي كدراسة إحصائية لأصوات سورة الناس، ومدى تكرار هذه الأصوات في السورة:

الصوت	التكرار	الصوت	التكرار
أ	11 مرة	ر	3
ب	2	س	11
ت	1	ش	1
ج	1	ص	1
ح	1	ع	1
د	1	ق	1
ذ	1	ك	1
ل	11	ن	7
م	1	و	6
ي	1		

الملاحظ من الجدول شيوع تكرار حروف الهمزة واللام والسين؛ أما الهمزة فهي أكثر الحروف استعمالا في العربية إضافة إلى الياء والواو «إن أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والهمزة، فأقل ما يستعملونه لثقلها عل ألسنتهم الظاء»[2]

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 94.

[2] فاطمة حجازي، الأصوات اللغوية وتنوعاتها في القرآن الكريم (دراسة إحصائية تحليلية لسورة آل عمران، جامعة تلمسان، ص 2.

من خلال هذا كله نستطيع القول أن تكرار حرف السين أحدث جوًّا إيقاعيا تناسب والدلالة الكلية للسورة. إضافة إلى مناسبة صفاته من همس ورخاوة وصفير مع فعل (الوسوسة) التي يحدثها الصوت أثناء القراءة.

ب) الكلمة:

لا شك في أن لفظا واحدا في القرآن الكريم يستقل وينفرد دون غيره من ألفاظ اللغة العربية بإحداث إيقاع نفسي في المتلقي، فقد «انصبت عناية القرآن العظيم بالاهتمام في إذكاء حرارة الكلمة عند العرب، وتوهج العبارة في منظار حياتهم، وحدب البيان القرآني على تحقيق موسيقى اللفظ في جمله، وتناغم الحروف في تركيبه، وتعادل الوحدات الصوتية في مقاطعه. فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات، فاختار لكل مرادفة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كل لفظ متناسبا مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالته السمعية من وجه آخر.»[1]

ويضيف سيد قطب: «وقد يستقل لفظ واحد لا عبارة كاملة . برسم صورة شاخصة . لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة . وهذه خطوة أخرى في تناسق التصوير. أبعد من الخطوة الأولى، وأقرب إلى قمة جديدة في التناسق. خطوة يزيد من قيمتها أن لفظا مفردا هو الذي يرسم الصورة، تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظل جميعا.»[2]

ومما يأتي سنختار بعض الألفاظ من القرآن الكريم مما تناسب صوتها ومخارج حروفها مع أصدائها ومعانيها:

***اثَّاقلتم:**

[1] محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت . لبنان . ط1، 1420/ 2000 ص .163

[2] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 91.

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[1]

إن اللفظة القرآنية (اثَّاقلتم) تُحاكي هيئة المتثاقل المتباطئ وتناسب هيئته كذلك. فالمد الموجود في هذه الكلمة يرسم تماما صورة الشخص المتثاقل، فقد اختيرت أصوات هذا اللفظ بما يناسب وما يتلاءم مع دلالته، فالإيقاع النفسي الذي يُحدثه انتظام الأصوات لهذه اللفظة يُصور حرفيا صورة الشخص المتباطئ المتثاقل ومما زاد تلك الصورة الذهنية للفظ (اثّاقلتم) ترسيخا في ذهن القارئ أو السامع للآية هو (الثاء) المشددة قبل المد، والثاء «صوت مهموس لا يتحرك معه الوتران الصوتيان»[2] أما من حيث المخرج فهو من الأسنان مع حد اللسان «ويسمى الصوت حينئذ أسنانيا، ويتم في هذا المخرج انتاج ثلاثة أصوات وهي: الذال والثاء والظاء، عن طريق ملامسة طرف اللسان للأسنان العليا بصورة تسمح بمرور الهواء. ولكن مع حدوث احتكاك (استمراري) ويلاحظ أن (الذال) و(الثاء) أختان، ويفرق بينهما جهر الأولى وهمس الثانية»[3]

هذا مما جاء في بيان حرف (الثاء) ومخرجها، ولكن ما يهمنا في هذه الجزئية من البحث، هو الصوت وعلاقته بالدلالة للفظة القرآنية (اثَّاقلتم) والسياق ككل، إذ تناسب التعبير القرآني وتصوير المشهد (مشهد الإنسان المتثاقل المتباطئ) حين استعمل لفظ "اثاقلتم" بدل "تثاقلتم" هذا ما يؤكد دور التركيب الصوتي للكلمة وروده في تعبير معين وارتباطه بالمعنى الكلي والتصوير الفني الذي يرمي إليه السياق القرآني «تسمع الأذن كلمة (اثَّاقلتم) في قوله: " يا أيها الذين ءامنوا مالكم إذا قيل لكم: انفروا في سبيل الله، اثَّاقلتم إلى الأرض؟" فيتصور الخيال ذلك الجسم المتثاقل، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل. إن في

[1] سورة التوبة الآية 38.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 50.

[3] مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1997. 1418، ص 316/315.

هذه الكلمة "طُنًّا" على الأقل من الأثقال! ولو أنك قلت: تثاقلتم، لخف الجرس، ولضاع الأثر المنشود ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ، واستقل برسمها.»[1]

فلفظة (اثَّاقلتم) بتشكيلها الصوتي تتناسب مع المعنى والدلالة والسياق ومقام الكلام.

***لفظ "ضِيزَى":**

قال الله تعالى:﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ (21)تِلۡكَإِذٗاقِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ (22)﴾[2]

ولفظ (ضيزى) من ألفاظ غريب القرآن ومما جاء في معناها: «أي ناقصة، أصله فُعلى فكسرت الضاد للياء، وقيل في كلامهم فُعلى.»[3]

وهي مشتقة من الجذر اللغوي: (ضاز) وجاء في معناه: «ضأّزه حقّه يضأزُهضأزاً: منعهوقسمه ضُؤْزىوضأَزَى، مقصورات: جائرة غير عادلة. وضاز يضيز وضأزيضْأزُ: مثلُهُ: وأنشد أبو زيد:

إن تنأ عنّا ننتقصك وإن تُقم فحظُّك مضئوز وأنفك راغم»[4]

و«تقول العرب: قسمة ضؤزى، بالضم ولهمز، وضوزى، بالضم لا همزة، وضِئْزى، الكسر والهمز، وضيزى، بالكسر وترك الهمز، قال: وعناها كلها الجور.»[5]

وجاء في تفسير الآية الكريمة: «أتزعمون أن لكم الذكر الذي ترضونه، ولله الأنثى "تلك إذًا قسمة ضيزى"، يقول جل ثناؤه: قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية، ناقصة غير تامة لأنكم جعلتم لربّكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم، وآثرتم أنفسكم بما ترضونه.»[6]

---

[1]سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 92/91.

[2]سورة النجم الآية 22/21.

[3]الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج2 باب الضاد، دت، ص 391.

[4]ابن منظور، لسان العرب، مادة ضأز، ص 2540.

[5]ابن منظور، لسان العرب، ص 2540.

[6]الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المجلد السابع، ص 147.

ومن هنا نلاحظ أن الإيقاع الصوتي لكلمة (ضيزى) المكوّنة من ضاد مكسورة وتليها ياء لتُمَدّ مدًّا سيرا بواسطتها (بواسطة الياء) ثمّ ينتقل الناطق بعدها مباشرة نحو الفتح الطويل (حرف الزاي المفتوح إضافة إلى الألف)، فالخروج من الكسر نحو الفتح، أدّى إلى انفتاح الفم والنطق وفق طريقة تُعبّر عن هيئة النّفور اتجاه شيء ما،[وكأن الأمر وهيئة النطق هذه تعبر فعلا عن النفور من هذه القسمة الجائرة] بل اتجاه هذه القسمة الجائرة، وكأن هذه الكلمة الغريبة معجميا وصوتيا تُعبِّر فعلا عن غرابة هذه القسمة، «فهي إذًا لفظة غريبة في معناها، وغريبة في صيغتها، إلّا أنها جاءت مناسبة من جهة الإيقاع مع فواصل سورة النجم المبينة على الألف المقصورة.»[1]

ويضيف سيد قطب أن كلمة (إذن) لها دورها في بناء الإيقاع الكلي للآية وإن حذفت لاختلَّ الإيقاع «وكذلك في قوله "ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك . إذن . قسمة ضيزى" فلو قلت: ألكم الذكر وله الانثى؟ تلك قسمة ضيزى لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة "إذن".»[2]

***أَنُلْزِمكموها:**

وردت اللفظة في قوله تعالى﴿ قَالَ يَٰقَوْمِأَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِيرَحْمَةً مِّنْعِندِهِۦفَعُمِّيَتْعَلَيْكُمْأَنُلْزِمُكُمُوهَاوَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾[3]

وهي مشتقة من الجذر اللغوي "لزم" ومما جاء عنه «اللزوم، معروف. والفعل لزم يلزموالفاعل لازم والمفعول به ملزوم، لزم الشيء يلزمه لزما ولزوما ولازمه ملازمة ولزاما، والتزمه وألزمه إياه فالتزمه ورجل لُزَمَةٌ: يلزم الشيء، فلا يفارقه.»[4]

ولفظ "أنلزمكموها" من ألفاظ الإعجاز البياني واللغوي التي وقف عندها علماء اللغة طويلا سواءً من الناحية الإعرابية أو البلاغية أو الصوتية، فعن إعرابها فهو كالآتي:

الهمزة: للاستفهام.

---

[1] ماجد النجار، الدلالة الصوتية في القرآن، دط، دت، ص 618.

[2] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 104.

[3] سورة هود الآية 28.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة "لزم"، ص 4027.

نلزم: فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة في آخره، والفاعل ضمير مستتر تقديره "نحن".

الكاف: ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به أول.

الميم والواو: للجمع.

ها: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان.

وعن تفسير الآية الكريمة «ثم قال تعالى﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَاوَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾فيها وجهان أنلزمكم الرحمة، قاله مقاتل. الثاني أنلزمكم البينة وأنتم لها كارهون، وقبولكم لها لا يصح مع الكراهة عليها. قال قتادة والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك.»[1]

وفي تفسير ظلال القرآن: «وإن كان الله آتاني رحمة من عنده باختياري للرسالة، أوآتاني من الخصائص ما أستحق به حمل الرسالة وهذه رحمة ولا شك عظيمة . ما رأيكم إن كانت هذه وتلك فخفيت عليكم حفاء عماية، لأنكم غير متهيئين لإدراكها، وغير مفتوحي البصائر لرؤيتها "أنلزمكموها؟" إنه ما كان لي وما أنا بمستطيع أن ألزمكم الإذعان لها والإيمان بها "وأنتم لها كارهون"!»[2]

ورد كذلك في تفسيرها: «أنأخذكم بالدخول في الإسلام، وقد عماه الله عليكم. "وأنتم لها كارهون"، يقول: وأنتم لإلزامناكموها "كارهون" يقول: لا نفعل ذلك، ولكن نَكِلَ أمركم إلى اللهحتى يكون هو الذي يقضي في أمركم ما يرى ويشاء»[3]

أما من الناحية الصوتية وهذا ما يهمنا في بحثنا هذا، فنلحظ أن اجتماع هذه الحروف على هذا النحو الثقيل في النطق، وكأنه يُعبّر عن استثقال وكراهية وعدم تحمل هذه الشريعة وهذا الدين الذي جاء به سيدنا نوح عليه السلام، فثقل التركيب تناسب الدلالة العامة وهي ثقل الشريعة.

---

[1]أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت ولبنان، دت ج2، تح السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دط، ص 466.

[2]سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 1873.

[3]الطبري، جامع البيان عن التأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، د مكان،1415/1994، المجلد 4، ط1، ص 272.

***ألفاظ الدعاء القرآني وإيقاعها:**

سبق وذكرنا أن الإيقاع القرآني يختلف باختلاف المواضع التي يرد فيها، ولعل أن الدعاء هو من أهم موضوعات القرآن الكريم، ووردت ألفاظ الدعاء في آيات عدّة نذكر منها: دعاء الأنبياء عليهم السلام، فمن دعاء سيدنا زكرياء عليه السلام في قوله تعالى﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾[1]

ودعاء سيدنا سليمان عليه السلام في قوله عز وجل﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢبَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[2]

ودعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[3]

ودعاء سيدنا أيوب عليه السلام في قوله تعالى﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[4]

ودعاء سيدنا يونس عليه السلام في قول المولى عز وجل﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَ إِلَه إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 89.

[2] سورة ص، الآية 35.

[3] سورة البقرة، الآية 126.

[4] سورة الأنبياء، الآية 33.

ودعاء سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[2]

ودعاء سيدنا نوح عليه السلام في قوله تعالى﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا (26)إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27)رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)﴾[3]

ومما جاء في القرآن الكريم من الأدعية المأثورة نذكر قوله تعالى﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ (193)رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ)﴾[4]

وقوله تعالى﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[5]

وهنا نلحظ أن إيقاع الدعاء يختلف ويتنوع بين الشدة واللّين، فالقرآن الكريم «نفسه لم ينطق عن لسان النبيين والصديقين والصالحين، إلّا بأحلى الدعاء نغماً، وأروعه سحر بيان، وإذا تذكرنا أن ابتهال الصالحين كثير في القرآن رغبا أو رهبا، طمعا أو خوفا. استعجالا لخير أو دفعا لشر، أدركنا سرا من أسرار التنغيم ينبعث من كل مقطع في كتاب الله»[6]

---

[1]سورة الأنبياء، الآية 86/.87

[2]سورة يوسف، الآية 101.

[3]سورة نوح، من الآية 26 إلى الآية 28.

[4]سورة آل عمران، الآية194/193.

[5]سورة البقرة، الآية 286.

[6]صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1977 آب أغسطس، ط10، ص 337.

ولعل القارئ أو السامع لآيات الدعاء لا يحتاج إلى قوانين تدُلُّه لإيقاع هذه الموسيقى وهذا الجرس الإيقاعي الخاص، فهذا الإيقاع لا محالة «منسجم مع الدعاء كل الانسجام، بالتطريب والتموّج والاسترسال.»[1]

***ألفاظ يوم القيامة وإيقاعها:**

لقد استعمل القرآن الكريم ألفاظا مترادفة تؤدي جميعها مفهوما واحدا وتعرف بألفاظ يوم البعث أو يوم القيامة، ومن بين هذه الألفاظ: الصاخة، الطامة، الحاقة، القارعة...إلخ وغيرها كثير.

إننا وبمجرد سماع هذه الألفاظ (الطامة، الحاقة، الصاخة، القارعة) يبعث في النفس نوع من الشدة والقوة، والهول والفزع إنه الإيقاع المتولد من تلك الأصوات الشديدة الموجودة في التركيبة الصوتية لهذه الألفاظ على التوالي: الطاء . القاف . الصاد . الخاء. العين. والملاحظ ودون أدنى شك أنها «كلمات تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي، والأداء الجهوري لسماع رنتها، مما يتوافق نسبيا مع إرادتها في جلجلة الصوت. وشدة الإيقاع، كل ذلك مما يوضع مجموعة العلاقات القائمة بين اللفظ ودلالته في مثل هذه العائلة الصوتية الواحدة.»[2]

فالتعبير القرآني حوى هذه الألفاظ التي تناسب تركيبها الصوتي ودلالتها إذ أنه يستعمل دائما وأبدا «أفخمها لفظا وأعظمها وقعا، فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدتها وهدتها، تستنتج من ذلك أهميتها وأحقيتها بالتلبث والرصد والتفكير.»[3]

---

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 112.

[2] محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، 1420، 2000، ط1 ص 169.

[3] محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص 168.

- **الطامة:**

قال الله تعالى﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾[1]

وجاء في تفسير الآية الكريمة: «فإذا جاءت التي تطمُّ على كل هائلة من الأمور، فتغمر ما سواها بعظم هولها، وقيل: إنها اسم من أسماء يوم القيامة.»[2]

وفي تفسير الكشاف: «الطامة، الداهية التي تطم على الدواهي، أي: تعلو وتغلب. وفي أمثالهم: جرى الوادي فطمَّ على القرى، وهي القيامة لطمومها على كل هائلة. وقيل: هي النفخة الثانية، وقيل: الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.»[3]

بمجرد سماعنا للفظة "طامة" يُخيل لنا ذلك الشيء الهائل الشديد.

«والطامة لفظة مصورة بجرسها لمعناها، فهي تطم وتعم وتربي وتطغى، على السماء المبنية، والأرض المدحورة، والجبال المرساة، والليل المغطش والضحى المخرج [...] وليطغى مشهدها على تلك المشاهد جميعا.»[4]

***الحاقة:**

قال الله تعالى﴿ ٱلْحَآقَّةُ (1)مَا ٱلْحَآقَّةُ (2)وَمَآأَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ (3) ﴾[5]

وجاء في معنى الحاقة: «الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء، التي هي آتية لا ريب فيها التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب، أو التي تحق فيها الأمور، أي: تعرف على الحقيقة، من قولك لا أحق هذا، أي: لا أعرف حقيقته.»[6]

لننظر إلى حروف هذه اللفظة وإلى المد بعد حرف الحاء، ثم تشديد القاف والاستقرار عند هاء السكت، إن هذا الانتظام الصوتي والجرس الموسيقي للكلمة يُشعرنا في كل مرة

---

[1] سورة النازعات، الآية 34

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 1414/1994، ط1، ص 457.

[3] الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 309.

[4] سيد قطب، مشاهد يوم القيامة في القرآن، ص 225.

[5] سورة الحاقة، الآيات 3.2.1.

[6] الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 194.

بتناسبه والدلالة اللفظية «وهو يختار هذا اللفظ من الناحية التصويرية لأن له جرسا خاصا، هو أشبه شيء، برفع الثقل ثم استقراره استقرارا مكينا، رفعه في مدة الحاء بالألف، واستقراره في تشديد القاف بعدها، والانتهاء بالتاء المربوطة التي يوقف عليها بالهاء الساكنة (والجرس في ألفاظ القرآن وعباراته يشترك في تصوير المعنى ووقعه في الحس)»[1]

***الصاخة:**

ورد في قوله تعالى﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾[2]

وجاء في معناها: «"صخ" لحديثه، مثل: أصاخ له، فوصفت النفخة بالصاخة مجازا، لأن الناس يصخون لها.»[3]

فمجرد سماعنا للفظ "الصاخة" نستشعر ذلك الصوت الشديد العنيف الذي يطرق الأذن؛ إنه صوت ذلك اليوم المشهود (يوم القيامة) فمخارج وصفات حروف هذه اللفظة تناسبت تماما وهذا الجرس القوي، ولفظ الصاخة كما وصفه سيد قطب في مؤلَّفه "مشاهد يوم القيامة في القرآن" «فالصاخة لفظ ذو جرس عنيف نافذ. يكاد يخرق صماخ الأذن وهو يشق الهواء شقا، حتى يصل إلى الأذن صاخا ملحدا ... وهو يمهد بهذا الجرس المزعج للمشهد الذي يليه: مشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به"﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34)وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (35)وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (36)"﴾.»[4]

ج) الجملة:

كما سبق وأشرنا أن البنية الإيقاعية في القرآن الكريم تتجلى في ذلك التكرار المنتظم للحروف والكلمات التي ينجم عنها ذلك النغم الموسيقي المعجز الذي يعطي للقرآن تلك السمة الخاصة التي تميزه دون غيره.

---

[1] سيد قطب، مشاهد يوم القيامة في القرآن، ص 211.

[2] سورة عبس الآية 33.

[3] الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 319.

[4] سيد قطب، مشاهد يوم القيامة في القرآن، ص 73.

فإضافة إلى الوظيفة الإيقاعية التي يؤديها التكرار في القرآن الكريم، فهو يؤدي كذلك تلك الوظيفة البلاغية فهو من مظاهر البلاغة والفصاحة والبيان فيه.

ومما ورد في القرآن الكريم من تكرار للجمل نذكر قوله تعالى في سورة الرحمان﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1] إذ أننا نلحظ تكرار الآية الكريمة واحد وثلاثون مرة «ورنة الإعلان تتجلى في بناء السورة كله، وفي إيقاع فواصلها (....) تتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى وامتداد التصويت إلى بعيد، كما تتجلى في المطلع الموقظ الذي يستثير الترقب والانتظار لما يأتي بعد المطلع من أخبار.»[2]

ونلاحظ التكرار كذلك في قوله تعالى﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60)أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61)أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (62)أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63)أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (64)﴾[3]

نلحظ في الآيات الأربع السابقة تكرار جملة "أ إله مع الله" خمس مرات، الأمر الذي أدى إلى تكوين بنية إيقاعية فريدة من نوعها، يستشعر بها سامع وقارئ هذه الآيات دون حاجة منه إلى التدقيق، مما زاد القرآن الكريم جمالا وحسنا.

[1] سورة الرحمن، من الآية 13 إلى الآية 25.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 3445

[3] سورة النمل، الآيات 64/60.

ومن مظاهر التكرار في القرآن الكريم التي أعطت ذلك النغم الإيقاعي الجميل ما ورد في سورة القمر في قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1]إذ تكررت الآية الكريمة أربع مرات في هذه السورة.

وأمثلة التكرار السابقة مما ذكرنا أورده علماء البلاغة ضمن (تكرار اللفظ والمعنى) فقد وضعوا نوعا آخر لذلك ساقوه ضمن (التكرار في المعنى دون اللفظ) وهذا القسم لا يهمنا في بحثنا هذا.

فإلى جانب الغرض البلاغي الذي يحققه (التكرار) في القرآن الكريم، فإنه يحقق ذلك الجمال الإيقاعي الذي أعطى للقرآن؛ تلك السمة الإعجازية إلى جانب السمات الإعجازية الأخرى التي لا تنتهي والذي يتناسب كل مرة والمعنى الذي تسوقه لنا الآيات القرآنية «هذا الكتاب المتناسق الذي لا اختلاف في طبيعته ولا في اتجاهاته، ولا في روحه، ولا في خصائصه. فهو "متشابه" وهو "مثاني"،تُكَرر مقاطعه وقصصه وتوجيهاته ومشاهده. ولكنها لا تختلف ولا تتعارض، إنما تعاد في مواضع متعددة وفق حكمة تتحقق في الإعادة والتكرار. في تناسق وفي استقرار على أصول ثابتة متشابهة. لا تعارض فيها ولا اصطدام. »[2]

[1]سورة القمر الآية 17

[2]سيد قطب، في ظلال القرآن، ج24، ص 3048.

خاتمة

لقد حاولنا في هذا البحث أن نقف على الدور الذي يمكن أن يؤديه الصوت في صياغة المعاني الفنية التي يقصد إليها القرآن الكريم، والدلالات الصوتية لكلماته، وكيف يختار من الألفاظ ما هو أخص بها، ويجعلها فوق مجرد عملية الإبلاغ فقط بل ويجعلها موحية ومؤثرة في النفس والوجدان، وقد استدعى منا ذلك أن نتناول دراسة علاقة الصوت بالدلالة الصوتية، وماهية الدلالة الصوتية عند العلماء، وهذا الباب بحر عميق من العلوم حاولنا من خلال الغوص فيه كشف القليل من خفاياه والخروج ببعض النتائج التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1) لقد اهتم علماء العربية القدامى بدراسة الأصوات وأولوها عناية خاصة، رغم بساطة أدوات الملاحظة في عصرهم، مقارنة بما هو متوفر في العصر الحديث فقد كانوا يعتمدون في ذلك على الحس والذوق المرهف، ورغم ذلك فقد أثبتت الدراسات الحديثة دقة وصدق ما ذهبوا إليه في ملاحظاتهم، وتحليلاتهم.

2) احتل موضوع الدلالة في التراث اللساني العربي حيزا واسعا، ونال قسطا وافرا من الاهتمام من طرف علماء العربية في مختلف حقول المعرفة والعلوم كالمنطق والفلسفة والبلاغة والتفسير وأصول الفقه وغيرها، وقد ساهم هذا في ثراء فكرياهام في التراث العربي.

لقد بذل علماؤنا جهودا كبيرة لا يمكن انكارها في الكشف عن الدلالة الصوتية، وقد وقفنا في هذا البحث على جهود البعض من علماء العربية ودقة ملاحظاتهم كابن جني... والجاحظ والشريف الجرجاني...، وقد أسهموا في الدرس الدلالي العربي ومهدوا الطريق لمن بعدهم في مواصلة البحث فيه والرجوع إلى ما قدموه بنقطة انطلاق لأي دارس.

3) كل البحوث العلمية والأكاديمية التي اتخذت القرآن الكريم موضوعا للدراسة بما فيها موضوعنا هذا أن تراعي قدسية هذا النص وتأخذ بعين الاعتبار كل ما يتعلق به كونه كتاب هداية ودعوة قبل كل شيء.

4) لكل صوت من أصوات اللغة العربية دلالته الخاصة به، وتتغير هذه الدلالة حسب ترتيب الصوت الواحد في اللفظة الواحدة، وحسب ترتيبه في الجملة ككل.

5) للصوت علاقة وطيدة بالدلالة وهي خاصية واضحة في الكلمة القرآنية والتعبير والسياق القرآني ككل.

6) إن التركيب الصوتي لكثير من المفردات القرآنية ينفي فكرة الترادف في القرآن الكريم التي قال بها البعض، فاختلاف هذا التركيب يتولد عنه اختلاف في الدلالة، كان هذا الاختلاف يأتي بشكل خفي غير ظاهر لكنه واضح جلي عند أهل الاختصاص.

7) إن مظاهر الإيقاع في القرآن الكريم واضحة في الصوت وحده وفي الحروف المكوِّنة للفظة القرآنية المفردة، وفي الآية جميعها.

8) إن الإيقاع في القرآن الكريم مرتبط بموضوع الآية، ودلالتها، والمشهد التصويري ككل.

9) إن الأصوات اللغوية في القرآن الكريم متناسبة والموضع الذي وردت فيه، فكل لفظ في القرآن الكريم يؤدي دورا لا يؤديه أي لفظ آخر في اللغة العربية بالرغم من كونها لغة غنية كثيرةُ الجذور اللغوية.

10) إن جمالية التعبير القرآني لا نلمسه في الألفاظ إلا داخل النص القرآني، إذ يضفي عليها القرآن تلك الجمالية وذلك الحسن عكس ما إذا كانت منفردة خارجه إذ تخلو من تلك الجمالية وذلك الحسن.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، دت، دط.
2) إحصاء العلوم، الفرابي، مكتبة الأنجلو، 1968، تحقيق: عثمان أمين، ط3.
3) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة المصرية، صيدا بيروت، 2003/1424.
4) إيقاع الشعر العربي، نعمان عبد الرحمان متولي، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2013.
5) الإيقاع في الشعر العربي، عبد الرحمان الوجي، دار الحصاد، دمشق برامكة، ط1، 1989.
6) البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، دت، دط.
7) البيان والتبيين، الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، تحقيق: عبد السلام هارون، ج1.
8) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان والرسالة، الدق ، ط1، 1988/1403.
9) التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق القاهرة، 8شارع سيبويه المصري، دت، دط.
10) التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، دت، دط.
11) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار ابن حزم . بيروت . لبنان، 2000/ 1430، ط1.
12) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، المجلد الثاني (البقرة . النساء) تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1415/ 1994.

13) جماليات الخطاب في النص القرآني، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار للطباعة والنشر، القاهرة،201/1435ى4، ط1.

14) جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف، عويض بن حمود العطوي المملكة العربية السعودية الرياض، دط، 2010.

15) الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت.

16) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، دار الكتب المصرية، تحقيق: محمد علي النجاردت.

17) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1997،1418

18) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، 1986، ط3.

19) الدلالة الصوتية في القرآن، ماجد النجار، دط، دت.

20) الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر الفاخري، المكتب العربي الحديث الإسكندرية.

21) الرسالة، محمد بن ادريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دت، دط.

22) الساق على الساق في ما هو الفارياق، فارس الشدياق، مكتبة العرب، مصر 1919.

23) شرح كتاب سيبويه، السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتاب العلمية، دت، بيروت لبنان.

24) شعر الحداثة دراسة في الإيقاع، محمد سلمان، محمد علي علوان، دت، دط، دمكان النشر، دت، دط.

25) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس مكتبة المعرفة، بيروت، 1993، ط1.

26) الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان1420 . 2000، ط1

27) العروض وإيقاع الشعر العربي، سيد البحراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط1993.

28) علم الأصوات، كمال بشر، دار الغريب، القاهرة، 2000، دط.

29) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

30) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

31) كتاب العين، أبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج2، دت، دط.

32) فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، لبنان.

33) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، ط1/ 1972، ط32 / 1423/2003، المجلد 1، الأجزاء 1. 4.

34) الكشاف، الزمخشري محمود بن عمر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، دت، دط.

35) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، كورنيث النيل، القاهرة، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دت، دط.

36) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلوم للملايين، بيروت . لبنان، آب أغسطس، 1977/ ط10.

37) المزهر في علوم اللغة وأنواعها،عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا –بيروت-لبنان، 1406ه/1986م/ تحقيق:

محمد أحمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ج2.

38) المستصفى من علم الأصول، أبي أحمد الغزالي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان 1993، ج2، ط3.

39) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، 08شارع سيبويه المصري، مدينة نصر القاهرة، دط، دت.

40) معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أجمد بن فارس بن زكرياء، دار الفكر، 1399/1979 تح: عبد السلام هارون، ج2، دط، د مكان النشر.

41) معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 2004/ 1425، ط4.

42) 42) المعجم المفصل في اللغة والأدب، إميل يعقوب، ميشيل عاصي، المجلد1، دار العلوم الملايين، بيروت لبنان، ط1، سبتمبر 1987.

43) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ج2.

44) المنصف، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين، ط1، ج1.

45) نحو وعي لغوي، مازن مبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979.

46) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، أكتوبر 1977.

47) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت . لبنان، ج3.

❖ المجلّات والمذكرات:

1) الأصوات اللغوية وتنوعاتها في القرآن الكريم، فاطمة حجازي، دراسة تحليلية لسورة آل عمران، جامعة أبو بكر بلقياد تلمسان.
2) البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن، محمد حرير، مجلة التراث العربي، دمشق، مجلة فصلة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، عددان 100/99، تشرين الأول 2005 رمضان 1426.
3) الرباعي المكرر ومشتقاته في القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية، كرام قمرة، قسم اللغة والادب العربي، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي (الجزائر) مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 13، العدد01، التاريخ 2012/03/15.
4) سورة الناس "دراسة صوتية دلالية"، شاكر سبع الأسدي، مجلة آداب ذيقار، العدد 3، مجلد 1، ديار2011.
5) الصوت والدلالة في القرآن الكريم، كاملي بشير، مذكرة نيل درجة الماجستير، في الحضارة الإسلامية، تخصص لغة، ودراسات قرآنية، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2013/2012.

فهرس الموضوعات

مقدّمة.....أ-ج

الفصل الأول:الدلالة الصوتية عند القدماء والمحدثين.....14

أوّلاً: جهود علماء العربية في الدلالة:.....15

1.الجهود الدلالية عند الشافعي:.....15

ثانيا: الدلالة الصوتية عند علماء العربية:.....26

1. مفاهيم الدلالة عند الفرابي :.....26

2. مفاهيم الدلالة عند الغزالي:.....28

3. مفاهيم الدلالة عند ابن خلدون :.....30

4. ماهية الدلالة عند الشريف الجرجاني:.....31

5. ماهية الدلالة الصوتية عن ابن فارس :.....32

ثالثا: الدلالة الصوتية عند المحدثين:.....33

الفصل الثاني:مظاهر الدلالة الصوتية في لقرآن الكريم.....41

أولا: دلالة الصّيغ الصّرفية:.....42

1. الألفاظ المضعفة في القرآن الكريم:.....42

2. صيغة الفعل الرّباعي المضعّف في القرآن الكريم:.....44

3: الفعل الثلاثي مضعف العين في القرآن الكريم:.....52

ثانيا: دلالة الألفاظ التي تختلف في صوت واحد:.....54

1: ما وقع في أول الكلمة: :.....55

2. ما وقع في وسط الكلمة: :.....59

3. ما وقع في آخر الكلمة: 60

ثالثا: دلالة الإيقاع:.....64

1.تعريف الإيقاع:.....64

2) الإيقاع عند العرب القدامى:.....65

3) الإيقاع عند العرب المحدثين:.....66

4. أنواع الإيقاع:.....68

5.الإيقاع في القرآن الكريم:.....69

6: الإيقاع القرآني وعلاقته بالدلالة:.....70

7) عناصر الإيقاع في الخطاب القرآني:.....71

أ) الحرف:.....71

ب) الكلمة:.....75

*ألفاظ الدعاء القرآني وإيقاعها:.....80

*ألفاظ يوم القيامة وإيقاعها:.....82

ج) الجملة:.....84

خاتمة.....87

قائمة المصادر والمراجع.....90

فهرس الموضوعات.....96